دكتور حلمي محمد القاعود

أهل الفن ... وتجارة الغرائز

دار الاعتصام

دكتور حلمي محمد القاعود

أهل الفن ... وتجارة الغرائز

دار الاعتصام

الإهداء

إلى :

« شمس البارودى »

الشامخة التى تمردت على شياطين الإنس ،

ولاذت بحمى رب الناس ..

(الكاتب)

بسم الله الرحمن الرحيم

[استفتاح]

نحمد الله ونصلى ونسلم على نبيه المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره والسائرين على نهجه إلى يوم الدين ..

وبعـــد :

فقد هالنى وأفزعنى ما وصل إليه مستوى الفن الذى يعرض ويقدم للأمة ، من تمثيل واستعراض وغناء ، عبر وسائل سمعية وبصرية لها قدرة الاختراق المنزلى حتى تصل إلى غرفة النوم ، ودون أن يذهب المرء بنفسه إلى مكان العَرْض الفنى حيث يُقدم إلى الناس ..

لقد هبط « الفن » إلى درك سحيق من الابتذال والحيوانية والتسطيح والبذاءة وتشويه الوجدان وتخريب العقل ، مما دعا الكثيرين من أصحاب النخوة والمروءة إلى « الصراخ » بأقلامهم وأفكارهم ضد الواقع الفنى الراهن ، بوصفه يمثل مؤامرة رخيصة على الأمة وتاريخها ومستقبلها ، وليس — كما يزعم البعض — تعبيراً عن هموم وآمال .

وفى فترة متقاربة ، بل فى شهر واحد تقريباً قرأت ما يلى :

أولاً : « المهنة التى لا تستطيع أن تهبها لله وتدعو من خلالها للمعروف وتنهى عن المنكر هى مهنة حرام ، فكل عمل تقوم به يجب أن تهبه لله ، فهل يستطيع الفنان أن يهب فنه لله ، وهل يقدر

أن يواجهه به دون خشية ، فنحن فى مناخ فنّى تخفى فيه الفنانة أنها متزوجة حتى تحتفظ بحب الجمهور لها ، وهذه عملية بيع وشراء علنى ، وأعمالنا الفنية تعلّم الناس عصيان الوالدين ، وتعلّم البنت المراهقة كيف تقابل شاباً من وراء أهلها ، وتقول للشاب إذا واجهتك مشكلة فعليك بالخمر أو الشم ! » .

[نص ما قالته الفنانة السابقة « نسرين » فى مجلة أكتوبر ، العدد ٧٥٥ ، الأحد ١٤ أبريل (نيسان) ١٩٩١ م]

ثانياً : « رغم حبى الكبير للفن والأعمال الخالدة التى اشتركت فيها سواء فى السينما أو المسرح .. إلا أن شعوراً قوياً انتابنى هذه الأيام بأن كل هذه السنوات التى قضيتها فى الوسط الفنى هى سنوات ضاعت من عمرى سدى وبلا أى فائدة !! .

ولو أننى خُيّرت فسوف أبدأ حياتى من جديد لأستثمر سنوات عمرى فى أعمال جادة تنفع الوطن وتعود علىّ وعلى أسرتى بالخير .. ولهذا فإننى نادم على هذه السنوات التى ضاعت فى الفن ولن أستطيع تعويضها » .

[الممثل أحمد مظهر جريدة المساء ٢٠ من رمضان ١٤١١ هـ الموافق ٥ من إبريل ١٩٩١]

ثالثاً : وهذه أسئلة سبعة يطرحها الأستاذ « ضياء الدين بيبرس » على النقاد التقدميين ـ أى اليساريين ـ بمناسبة انعقاد مؤتمرهم الذى يناقش آفاق النقد السينمائى فى التسعينات :

١ ـ إذا اقتضى الأمر المفاضلة بين طاعة الله وضرورة توظيف جسد المرأة لخدمة الفن الدرامى فأى الطريقين على السينما أن تختار ؟ .

٢ ـ هل حان أم لم يحن ـ بعد ـ الأوان لكى يكون فى صور عمليات تقويم الأفلام السينمائية والإنتاج الدرامى عموماً قياس مدى ملاءمته شكلًا وموضوعاً للأهداف الأخلاقية والدينية ، أم إن الدين والأخلاق وشرائع الله قيم متخلفة ؟! .

٣ ـ هل حان أن يدرسوا مدى عمق تأثير الفجور السينمائى

الذى تمارسه بعض الممثلات على شاشة السينما فى تخليق سرطان الإرهاب كردٍّ فعل لهذه الممارسات الهابطة ، أم أنهم لا يرون أى صلة بين ذلك الفجور وبين الممارسات الهابطة للمسرح والسينما التى فاقت كل تصور والتى جعلت من إلغاء البغاء الرسمى حبراً على ورق ؟ .

٤ ـ هل لابد من العرى وتحدى شريعة الله لزرع قيم نبيلة أم إن تعرية الممثلات فى المسرح والسينما فى الحقيقة عجز فنى ؟ .

٥ ـ هل يعتقدون أن الدعوة للاعتدال ومراعاة القيم الدينية بل وخدمتها عن طريق الدراما ، رجعية وتخلف ، وتفكير بعقلية القرون الوسطى ؟.

٦ ـ هل من حق النقاد أن يفرضوا إرهابهم فقط بالمطالبة بأن يكون لهم رأى فى إجازة الأفلام السينمائية إذا هبطت عن قيمة فنية معينة ؟ أم إن من واجبهم وحقهم معاً المطالبة بتجريم عرض أفلام تقوم على الجنس ، مثل فيلم غير نظيف تقوم فيه الممثلة التى اشتهرت بكثرة أعياد ميلادها وهى تعطى فيها دروساً فى علاقات الحب لشابة خام ؟!» .

ويضيف الأستاذ « ضياء الدين بيبرس » فى ختام تساؤلاته : « ممكن جداً أن يتجاهل النقاد السينمائيون هذه الأسئلة . وفى هذه الحالة فإنهم سوف يصنعون أنفسهم حرّاساً وحماة ومتربحين ومتكسبين من تحدى شريعة الله وكسر عنق كل ما يدعو إليه القرآن والإنجيل والتوراة ».

[جريدة الوفد ـ ١٦/٤/١٩٩١ م]

هذا ما قرأته ، وآثرت أن أنقله ـ على طوله ـ لأبيّن قوة الدافع التى دفعتنى إلى معالجة موضوع الفن ، وبخاصة الدراما أو الأعمال التمثيلية التى تقدم على هيئة فيلم أو مسرحية أو مسلسلة تليفزيونية أو إذاعية .. فما يقوله أناس لهم علاقة وثيقة بالفن يجب أن ينبهنا إلى عمق الجريمة التى تُرتكب فى حق الأمة باسم

« الفن » ، وفى الوقت نفسه يجعل لما نقول ضرورة تنفى عنه تهمة التعصب أو الكراهية لأهل الفن .. فالسيدة نسرين ـ والأستاذ أحمد مظهر ، والأستاذ ضياء الدين بيبرس ليسوا من علماء الدين أو المنتمين للجماعات الإسلامية ، وليسوا أيضاً ممن يسميهم البعض بالإرهابيين أو المتطرفين أو المتحجرين أو الرجعيين أو المتخلفين .. إلى آخر القاموس البذىء إياه الذى يستخدم دليلًا على التدين والتمسك بأصول الدين .. وباختصار فإن نسرين ومظهر وبيبرس ليسوا من ذووى اللحى ولا أصحاب الجلابيب !! .

إن الجريمة التى يرتكبها أهل الفن فى حق أوطانهم وشعوبهم وأمتهم لا يمكن السكوت عليها ـ وبخاصة أن بعض الحكومات والشعوب العربية والإسلامية تنفق على « أهل الفن » قبل « أهل العلم » ، وتحتفى بأهل الفن قبل أهل الأدب والفكر ، وتغدق عليهم من الاهتمام والرعاية مالا تلقاه طائفة أخرى فى المجتمع قد تكون أكثر إفادة وأكثر إنتاجاً وأكثر أهمية بالنسبة لجموع الناس .. ثم إن أهل الفن قد تحققت لهم الشهرة كما لم تتحقق لكبار الأدباء والعلماء والمثقفين ، ويستطيع مطرب ناشىء أو ممثلة مبتدئة أو زمَّار صاعد أن يجد أبواب الإعلام مفتوحة أمامه على مصاريعها أطراف الليل وآناء النهار .. فى الوقت الذى لا يجد فيه كبار الموهوبين الراسخين من الفئات الأخرى إلا فرصاً ضئيلة ونادرة كى يواجهوا الجمهور أو يعرضوا أنفسهم عليه .

معالم الجريمة التى يرتكبها أهل الفن واضحة ولا تخفى على المتابعين للأعمال الدرامية وغيرها .. فما يقدمونه من أعمال يخالف ما ينبغى أن يتحقق من ورائها من غايات جمالية وترويحية وخلقية وتربوية .. إنهم يختزلون غاياتهم ـ عادة ـ فى غاية واحدة هى الكسب .. ولا شىء سوى الكسب ولو كان حراماً .. فضلًا عن غايات أخرى سوف نكشفها على مدى الدراسة بإذنه تعالى . إنهم يستبيحون لتحقيق غاياتهم كل القيم .. وكرامة المرأة ، ومعايير الفن ، ومقاييس الأخلاق ، وأسس التربية .

صحيح أن هنالك بعض الأعمال التى تمثل مستوى طيباً ومقبولًا ، ولكن هذه الأعمال قليلة ، بل نادرة فى بعض الأحيان ، ولا يغرنك ما تقوم به بعض أجهزة الإعلام العربية للترويج لأعمال بعينها ، أو لفنانين بأعينهم .. فهذا من قبيل التجارة الحرام ، التى تقوم على المصالح المتبادلة ، والمنافع المتوازية ، ويبقى فى كل الأحوال أن الطابع العام للواقع الفنى - إن صح التعبير - هو الاستهانة بعقول الناس ، وتسطيح وعيهم ، وتزوير مشاعرهم ، والتدليس عليهم بما لا يتلاءم مع هويتهم الإسلامية ومشاعرهم الشخصية .

ومن عجب أن المرء لا يستطيع أن يجد فيما يقدمه « أهل الفن » فى عالمنا العربى ، أساساً ولو متواضعاً يؤهله ليكون مقبولًا عند أولى النهى ، فالفن عندنا حالة نمطية لا تكاد تختلف فى كل الأعمال . هذه الحالة هى مخاطبة الجانب السفلى من الإنسان ، والاستعانة فى ذلك بما يسمونه « التوابل » المثيرة من جنس ودماء ومعارك ونكات فاحشة وحوادث مفتعلة وحوارات بذيئة .. ولذا لم يكن عجيباً أن تقوم معظم الأعمال الفنية على الارتجال والإثارة ، أو على التخطيط التآمرى البشع الذى يستهدف الدين والأخلاق والقيم .. وبالرغم من أن لدينا الكثير من الكتَّاب والأدباء الذين صاغوا أعمالًا أدبية جيدة ومحكمة تجمع بين شرف المضمون وأصالة البناء الأدبى ، ولكن يبدو أن « أهل الفن » ليس لديهم استعداد لاحترام عقول الناس وتفكيرهم .. ثم إنهم أصبحوا فى زماننا يضربون على أوتار الظواهر الطارئة على مجتمعاتنا ، ويستغلونها إلى أقصى حد متاح لتحقيق أكبر عائد مادى ، وهو منهج رخيص وشاذ ، وللأسف فإنه حتى الآن لا يجد من يقاومه مقاومة فعالة ، أو يوقع على أنصاره العقوبة الملائمة !! .

* * *

إن هذه الدراسة لا تبغى إدانة أشخاص بأعينهم ، بقدر ما تهدف إلى توضيح ظاهرة تسىء إلى الأمة وتسعى إلى تخريب بنيانها الثقافى والروحى ، كما إنها لا تلقى أحكاماً مرسلة ، ولكنها تقدم أدلة ونماذج وأقوالًا لأهل الفن أنفسهم تثبت ما تذهب إليه الدراسة وتدعمها .

وفى كل الأحوال ، فإننا نؤكد على أن الإسلام ليس ضد الفن النظيف الذى يتغيّا الجمال والحق والخير ، ودفع الأمة إلى تجاوز محنتها ، والانتصار على هزيمتها ، والمشاركة فى صنع حضارة جديدة تقف إلى جانب الإنسان ، ولها سماتها الإسلامية العظيمة ، وملامحها الروحية الظافرة .

ويبقى القول إن هذه الدراسة الموجزة مجرد خطوة على الطريق ، لإنقاذ الأمة من خطر مدمر هو « الفن العتيد » الذى يقدمه مروجون مهرة خلت قلوبهم وأرواحهم من لمسة الإنسانية والفطرة ، ومجرد خطوة على الطريق للبحث عن « فن المستقبل » الذى يضىء ويثمر ويغدق .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، كما أسأله سبحانه التوفيق والسداد لأمتنا وشعوبنا .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين .

حلمى محمد القاعود

جمادى الآخرة ١٤١٢ هـ
ديسمبر ١٩٩١ م

* * *

الواقع الفنى بين
التزوير الحضارى .. والبذور الخبيثة

[إن انحطاط الأعمال الفنيـة لا يمكن تفسيره إلا بالرغبة الآثمة فى الكسب الحرام أولًا ، والإرادة الشريرة فى تدميـر المجتمـع ، والعصف بكيـانه وتخريب قيمه ومعتقداته ثانياً ..]

الخلل القـــائم ..

لاشك أن الواقع الاجتماعى المضطرب تثقله هموم عديدة من بينها اختلال الموازين فى تقدير الأبناء النابغين والمواطنين المنتجين ، فى الوقت الذى ينصرف فيه الاهتمام إلى الطوائف الهامشية التى لا تخدم إلا نفسها ، ولا تنتج إلا لإشباع ذاتها .. ولعل طائفتى أهل الفن ولاعبى كرة القدم أبرز الطوائف التى تلقى من الاهتمام والرعاية مادياً وإعلامياً ورسمياً ما لا يلقاه العلماء والأساتذة والمعلمون والمهندسون والفلاحون والعمال وغيرهم .. وهو الأمر الذى دفع بالعديد من الكتاب وأهل الرأى إلى انتقاد الخلل القائم فى مجال التقدير ، ورفض الأمر الواقع الذى يجعل المنتجين فى المؤخرة والهامشيين فى المقدمة دون سبب مقنع .

تعلق « عايدة رزق » على عدم الاحتفال بتوزيع جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ، وتقارن ذلك بالاحتفال المستمر بالنجوم فى عالم السينما والكرة ، وتربط الموضوع باهتمامات الأبناء الذين تتبدى بمعرفتهم نجوم الغناء والتمثيل واللعب ، فى الوقت الذى يجهلون فيه الأعلام والصفوة فى مجالات الإبداع والفكر والعلم ، ثم تقول : « والمدهش حقاً أنه خلال الفترة التى توقف فيها الاحتفال بتكريم هؤلاء النابغين أقيمت احتفالات كبيرة لاعتزال عدد من لاعبى كرة القدم .. ونظمت مهرجانات استمرت أياماً لأفلام بعض نجمات السينما »[الأهرام ٢٥/٦/١٩٩١] .

الاتجاه الخاطىء !!

وليت أهل الفن احترموا الجمهور والمجتمع ، وهم يلقون احتراماً رسمياً وتقديراً إعلامياً فاق الحدود ، ولكنهم للأسف الشديد قدموا إنتاجاً فنياً بلغ من السوء حدًّا لا يمكن السكوت عليه ، ولأن بعض الناس قد يرى فيما نقول ويقول غيرنا ، نوعاً من المبالغة أو التعميم الذى لا يتفق مع المنهج

العلمى أو الأمانة الأدبية ، فإن الذى يفصل بيننا وبينهم هو الدليل والبرهان من واقع الأعمال الفنية التى يسمعها ويشاهدها الناس ، أو من خلال أقوال أهل الفن أنفسهم والمعنيين بقضاياه ، فضلًا عما يكشفه الواقع من جذور ليست طيبة لتحريك أهل الفن فى الاتجاه الخطأ الذى هو ضد المجتمع بالضرورة .

* * *

معادلة منقوصة !!

ونؤكد أنه يوجد بلا ريب عدد من الأعمال الجادة والمفيدة ، وبخاصة فى مجال الأعمال الدرامية التى تقدم على شاشة التلفزة وعبر أثير الإذاعة ، ولكن هذه الأعمال ـ للأسف الشديد ـ تبدو قليلة ، ولا تتناسب مع ذلك الثراء أو الإنفاق الباذخ الذى ينفق على إعداد الأعمال الفنية ، والعناصر القائمة بالتنفيذ ، وهذا ما يجعل الهبوط الفنى أو ابتذاله ، أو بعده عن هموم الأمة وقضاياها أمراً غير مقبول تحت أى ظرف من الظروف ..

إن متوسط ما يحصل عليه الممثل العادى فى الحلقة الواحدة من مسلسل تلفزيونى ، يستغرق تصويرها فى المتوسط ثمانى ساعات ، يعادل ما يتقاضاه عميد إحدى الكليات الجامعية ـ وهو أستاذ قضى زهرة عمره فى مجال البحث العلمى ـ فى شهر كامل ! أى ما يتقاضاه الممثل العادى على مدى حلقات المسلسل الثلاث عشرة يساوى مرتب عميد الكلية فى سنة كاملة (!!) ، مما يعنى أن المعادلة بين أهل الفن وغيرهم من بناة المجتمع الحقيقيين مختلة وناقصة وغير صحيحة .. وإذا كنا نمثل بالأستاذ الجامعى الذى يمثل صفوة المجتمع ، فإن بقية العاملين المنتجين يمثلون صورة أشد خللًا واضطراباً فى المعادلة حين يقارنون بأهل الفن . وهذا ما يؤكد أن انحطاط الأعمال الفنية لا يمكن تفسيره إلا بالرغبة الآثمة فى الكسب الحرام أولًا ، والإرادة الشريرة فى تدمير المجتمع ، والعصف بكيانه وتخريب قيمه ومعتقداته ثانياً .

* * *

واقعيـــة دميمة !!

وكل إنسان سوى الفطرة سليم التصور ، فضلًا عن الفنان الحقيقى ، يؤمن أن القيم الفنية تعنى تحقيق قيم الحق والخير والجمال فى النفوس والعقول والأفئدة ، والتعبير عن هموم الأمة وآلامها ، واستلهام ماضيها لصناعة مستقبلها .. وهذا الإيمان بالطبع يرفض أن يكون المجال الفنى وسيلة للتزوير والتدليس ، وإبراز الجانب السلبى وحده ، وإغفال الجانب الإيجابى تماماً .. صحيح أن المجتمع يمتلىء بالسلبيات ، ويعانى من أمراض وآفات ، ولكنها فى الوقت نفسه تشهد ألواناً كثيرة من الإيجابيات على المستوى الفردى على الأقل ، فهناك أفراد يجاهدون فى ميادين مختلفة ، ويحققون نجاحات عظيمة لمجتمعاتهم وأمتهم ، ويمثلون نمطاً محترماً وكريماً من السلوك والأخلاق ، والتفانى فى سبيل الآخرين ، والتضحية من أجلهم ..

ولكن القوم فى مجال الفن يتجاهلون الجوانب الإيجابية عن عمد وسبق إصرار ، ويلحّون على المناطق الآسنة والمستنقعات الراكدة ، ليس بهدف القضاء عليها والتخلص منها ، ولكن لزرع اليأس والإحباط ونفى القدوة الحسنة فى مستقبل الأجيال الجديدة .. وتسألهم : لماذا ؟ فتكون الإجابة : إنها « الواقعية » ؟! . ألا بئست هذه « الواقعية » الدميمة الرخيصة ..

أليست إنجازات الباحثين والعاملين فى الميادين المختلفة تدخل ضمن « الواقعية » أيضاً ؟ ولكن القوم يجيبون بعبارة آثمة ومستهلكة : « الجمهور عايز كده ! » ــ أى جمهور يا قوم ؟ ثم ما دوركم الحقيقى تجاه الجمهور ؟ إن الفن ــ كما تعلمون وتتجاهلون ــ يقوم بترقية الجمهور والتسامى به ، والأخذ بيده على طريق النهوض والأمل والعمل والجهاد .. ولكن الفن الذى تقدمونه ليس كذلك ، لأنه تجارة حرام ، ودمار شامل للأمة .

* * *

تزوير متعمــــد !!

ومن المؤسف أن بعض الأفلام الملوثة تتغافل عن الواقع الحرام للفن ، وتحاول أن تؤرخ للأمة وحركتها الحضارية من خلال الأفلام والمسرحيات والأغانى (؟!) ولأن هذه الأفلام ذات صرير يصل أحياناً إلى درجة الصراخ ، فإننا نقول لمن يكتبونها : أى منهج علمى يقرّكم على اتخاذ السينما مثلًا دليلًا على الرصد التاريخى ، والحكم على حركة الأمة فى مرحلة ما ؟ وهل يمكن أن نحكم على أمتنا العربية الإسلامية فى القرن العشرين مثلًا ، من خلال السينما العربية ، بأنها أمة جاهلة ومتفلتة ومنحلة ؟ أو لا تملك عنصراً من عناصر الحضارة ؟.

إن أمتنا كما يقرر الواقع ــ وليس السينما ــ تملك عناصر حضارية كثيرة ، ولكن إمكانياتها الحقيقية لم تظهر بعد على شاشات السينما أو غيرها ، لأن من يعملون فى المجال الفنى أبعد ما يكونون عن هذه الإمكانات ، بل إنهم أنفسهم يمثلون مشكلة من مشكلات الأمة الحقيقية وعبئاً من أعبائها الثقال .. ويحضرنى فى هذه اللحظة ما فعله تجار الفن الحرام حين زوروا التاريخ القريب ، وجعلوا حرب رمضان ١٣٩٣ هـ (أكتوبر ١٩٧٣ م) ، وهى الحرب الوحيدة في تاريخنا الحديث التى أخذنا فيها زمام المبادأة ، حقاً لحاكم مهزوم دائماً ، غيَّبه الثرى قبل بدئها بثلاث سنوات ، وأنه صاحبها والآمر بها (!) والمنتصر فيها .. يا حسرة على العباد ! ، ونسى تجار الفن الحرام أن شهود هذه الحرب ما زالوا أحياء يرزقون .. ولكن ماذا نقول لمن تجرأ على الحقائق الساطعة ، وآثر أن يرضى هواه ومصالحه الشخصية ؟.

* * *

تلفيق تجــارى

إن أحداً لا ينكر الاستفادة بالفن ، واستنتاج بعض الدلالات التاريخية والحضارية . وذلك شرط أن يكون هذا الفن تعبيراً حقيقياً وصادقـاً عن الحركة الاجتماعية فى الأوطان والمجتمعات ، أما أن يكون تلفيقاً تجارياً ،

ينظر بعين واحدة ، ولا يرى إلا ما هو دميم وقبيح ومقزز ، ثم يتجرأ ليرتكب جرائم الغش الثقافى والتزوير التاريخى والتدليس الحضارى ، فلا يصلح بحال أن يكون مستنداً أو وثيقة حضارية .. وإن كان يصلح وثيقة إدانة لأصحابه ، ومستنداً صارخاً على ضلال القائمين عليه والمنفذين لعناصره .

* * *

المكافِحات المظلومات !

هل يصدق أحد مثلًا أن تكون الراقصات والعوالم والغوازى ، من قادة الحركة الوطنية ضد الغزاة والمحتلين ؟ لقد ألح أهل الفن على هذا الجانب ، وقدموا لنا هذه النوعية من النساء فى صورة البطلات المجاهدات المكافحات فى سبيل الأوطان !! بينما الواقع والتاريخ يقولان إن كثيراً منهن قد استخدم فيما يسمى بلغة السياسة « الأعمال القذرة » ، وكان من بينهن الجاسوسات اللاتى يخدمن العدو الغازى ، وكان من بينهن من تعمل طُعماً لاصطياد الزعماء والقادة المحليّين الذين يقاومون الأعداء .. ثم إن تاريخهن من قبل ومن بعد يمثل ذروة الانحراف الخلقى والدينى والاجتماعى ، فكيف يقدم أهل الفن أمثال هؤلاء على أنهن مكافحات مظلومات ، وينتصرن « بالرقص » على الظالمين ؟ وماذا نقول لبناتنا اللاتى يتعلمن ويعملن فى مجال التعليم والبحث والتثقيف والطب وخدمة المجتمع ؟ هل أصبحت الراقصات قدوة لنسائنا وبناتنا ؟ .

إن الصفاقة التى يتعامل بها أهل الفن أحياناً تحتاج إلى نوع من الردع الإيجابى الذى يجعلهم يتوبون عن الاستهانة بحرماتنا وقيمنا وأخلاقنا .. وقبل ذلك عقيدتنا .. فليس من المقبول أن يكون الفن بوابة عريضة تسوغ الانحراف لمن يعبرها ، تثير التعاطف مع نوعيات ضربت عرض الحائط بمعايير الأخلاق والعفة ، وانصرفت إلى اللهو والكسب الحرام والمتعة الرخيصة .. وليس من المقبول فى كل الأحوال أن يكون الانحراف والجريمة بطولة وجهاداً .. فهذا أسوأ أنواع التزوير التاريخى والحضارى والخلقى .

* * *

الردع الإيجـــابى

إن الردع الإيجابى الذى ندعو إليه هو القانون الصارم الذى يعاقب من يلوثون واقعنا ، ويزوّرون تاريخنا ، ويسوّغون الانحراف والإثم ، وللأسف الشديد ، فإن أهل الفن صاروا يملكون من المال الحرام ما يمكنهم من الإنفاق والصرف الباذخ على إنتاج أفلام ومسلسلات ومسرحيات ، يحققون من خلالها التعاطف مع الانحراف ، والمودة مع الإثم ، وقبول التزوير التاريخى والحضارى ، وقد شهدت الفترة الأخيرة أعمالًا هابطة وساقطة ومزوّرة عبرت إلى الناس تحت سمع الرقابة الحالية وبصرها ، مما ضج منه الناس وكثير من الكتاب الشرفاء وأصحاب الأقلام النظيفة .. وهو ما يستدعى أن يكون هنالك قانون يحقق الردع لمن لم تردعهم الرقابة ، أو ينفذون من ثغراتها الحالية ، فمرور الأعمال الساقطة والهابطة والمزوّرة فى وجود الرقابة ، يعنى اعترافاً رسمياً بأن المنحرفات فى المجال الفنى قدوة لا بأس بها لبناتنا ونسائنا ، وتصريحاً عملياً للجيل الجديد بالدخول إلى هذا الميدان الموبوء الذى لا يحتاج إلى جهد ، فضلًا عن أن عائده كبير جداً ، والشهرة فيه عريضة وواسعة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !!.

* * *

المقـــــرر اليـــــومى

وشئنا أم أبينا ، فقد صار ما يسمى بالإنتاج الفنى مقرراً يومياً مفروضاً على أسماع الأمة وعيونها ، وهو ما يفرض عليها أن تدرسه وتعايشه ، وتتشربه ، وتتأثر به ، وتتفاعل معه وتنفعل به .. كيف ؟.

هذا هو السؤال الصعب الذى تبدو إجابته أصعب ، بعد أن صار ما يقدمه أهل الفن يغزو الأسماع والعيون والعقول فى غرف النوم المغلقة ، ولا يستأذن قبل الدخول .. ثم إن الإجابة تتطلب مراجعة تراكمات كثيرة عمرها أكثر من ثمانين عاماً فى عالمنا العربى الإسلامى ، ارتبطت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية ، فضلًا عن الصراع الحضارى القائم بيننا ــ نحن المسلمين ــ وبين المدنية الغربية ، ومعها الحركة الصهيونية الناشطة

بكل أحلامها الشريرة فى الاستيطان والتوسع وقهر ما تبقى من مقاومة إسلامية واستئصاله !! .

خلاصة الأمر أن « المقرر اليومى » فى عالمنا العربى من الأفلام والمسرحيات والأغانى والمسلسلات ، التى صارت ميسرة بوساطة أجهزة الإذاعة والتلفزة والبث الفضائى المتعدد المصادر والفيديو ، يحتاج منا إلى وقفة تأمل ومراجعة ، لندرك إلى أى مدى ستصل بنا الحال مع هذا الطوفان ، ثم نحاول الإجابة عن السؤال المطروح حول كيفية التفاعل والانفعال ، وفرز الطيب من الخبيث ، أو احتواء الطوفان وتوجيهه ليصب فى أرض تنبت المفيد والبهيج ، ولايكون حصادها صريماً يبكى عليه ومعه جيل حاضر ، وأجيال تتلاحق بعده من أبناء المسلمين .

* * *

العصابات الخفيــة

وإذا عرفنا أن هنالك أيدى خفية تحرك العالم الفنى بأسره ، وتبذر فيه رغباتها الشريرة ، وإرادتها الفاجرة ، وتلعب بخيوط الإنتاج والتسويق وفق ما تريد ، وحيثما تريد ، أدركنا مدى الفاجعة التى تتربص بالأمة الإسلامية بأسرها نتيجة للمنهج الإجرامى الذى تقوده عصابات قوية مدربة وذكية ، والتى تبدأ بعصابات « هوليود » وتنتهى فى المهرجانات السينمائية العربية ! وهذه العصابات الخفية لا تعلن عن نفسها عادة ، ولكنها بما تملك من قوة رأس المال والدهاء والقدرة على ابتزاز العاملين فى المجال الفنى أو إغرائهم بما يسيل لعابهم ويلبى حاجاتهم النفسية فى الشهرة والغنى والنجومية ، تستطيع أن تحرك الأعمال الفنية بما يخدم استراتيجيتها الفكرية والعقدية ، والتجارية جميعاً .

* * *

الجـــذور الخبيثة

إن معظم هذه العصابات الخفية من اليهود الأذكياء الذين يعرفون جيداً أهدافهم وغاياتهم التى تخدم عقيدتهم ودولتهم العدوانية فى أرض فلسطين ..

وقد استغلوا المجال الفنى ، وبخاصة السينما للترويج للأفكار التلمودية وبروتوكولات حكماء صهيون التى تدعو صراحة إلى إفساد العالم بالجنس والانحلال والرشوة والعنصرية ، فضلًا عن السكر والعربدة الخلقية حتى تتم السيطرة اليهودية على العالم أو من يسمونهم بالأميين (غير اليهود) .. ولم يعد خافياً أن السينما العالمية ـ وتبعتها فى ذلك السينما العربية ـ قد بلغت حدًّا من الانحطاط الخلقى والتحلل السلوكى ، لا يتفق مع الفطرة السوية ، ولا ينسجم مع الطبيعة البشرية فى صفائها ونقائها ، بما تقدمه من مشاهد فاضحة ، وعلاقات آثمة ، وسلوكيات شاذة تقنن لها ، وتجعلها أمراً طبيعياً ، وشأناً عادياً على مستوى التعامل بين الرجل والمرأة ، والمجتمع وأفراده .. ثم وهو الأخطر من ذلك أن القوم أخذوا يعملون على الإعلاء من صورة الإنسان الغربى (الأوربى والأمريكى) عامة ، واليهودى بصفة خاصة . لقد صار اليهودى (سوبرمان) ، فى مواجهته للمحن السياسية (المختلقة والمزيفة طبعاً) ، ومقاومته لأعدائه (ضحاياه فى الواقع) ، وقدرته الخارقة (المزعومة فى أغلب الأحيان) على الإبداع والابتكار والإنجاز بصورة تميزه عن جميع البشر ، وتجعله أكثر تفوقاً واقتداراً ! وبصورة أخرى يمكن أن نقول : إن صناعة اليهود بوصفهم شعب الله المختار دون بقية الخلق صارت هى الشغل الشاغل لأهل الفن على مستوى العالم ، وبخاصة فى « هوليود » !.

* * *

المهرجانات والجوائز

ثم إن اليهود صاروا منذ زمن يتحكمون فى المهرجانات السينمائية الدولية والتى يدعى إليها صناع السينما من منتجين ومخرجين ومؤلفين وممثلين ومهندسين وغيرهم ، ولا يمنحون الجوائز والتقدير إلا لمن يتحرك فى المجال الصهيونى . إشادة باليهود أو تعاطفاً معهم أو كرهاً للعرب والمسلمين ، ولا يهم عندئذ الجنسية التى ينتمى إليها الفائز بالجائزة أو التقدير ، كذلك لا تهم الديانة التى يعتنقها ، المهم أنه ينفذ الرغبات الصهيونية الخبيثة . [راجع بتفصيل أكثر فصل المهرجانات العالمية فى هذا الكتاب] .

مفارقــة عجيبــة

ولم يكن غريباً نشأة السينما والمسرح فى البلاد العربية ـ فى جانب كبير منها ـ على يد اليهود ، وإن كانت المفارقة تكمن فى أن بدايات السينما العربية توافقت مع وعد « بلفور » الذى قطعه الإنجليز على أنفسهم لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين العربية المسلمة ، وترافقت مع بداية إنشاء المستعمرات اليهودية على أرضها ومقدساتها .. ولم يدر الناس يومئذ أنه سيأتى يوم تقوم فيه لليهود دولة ، وتكون لهم صولة ، ثم يصبحون القوة الأولى والقاهرة فى أرض الإسلام والمسلمين !! .

* * *

خطــة محكمــة

لم تكن لليهود أهداف معلنة فى السينما العربية ، ولكنهم بتمويلهم لكثير من الأفلام وبناء بعض الاستديوهات والإسهام فى شركات الإنتاج ، وتقديم أعداد لا بأس بها من الراقصات والممثلات والمطربات والملحنين والمخرجين ، استطاعوا أن يقدموا أفلاماً يؤلفها عادة عرب مسلمون ، ويمثلها (بالاشتراك) عرب مسلمون ، ولكنها تسخر من الإسلام والمسلمين ، ومن التدين والحجاب ، وتدعو إلى الاختلاط بين الرجال والنساء ، وسفور المرأة ، ومراقصة الرجل للمرأة على الطريقة الأوربية ، فضلًا عن تطبيع علاقات المخادنة والسكر والعربدة مع الواقع الاجتماعى من خلال الواقع الفنى . ويكفى فى هذا المجال أنها لم تقدم من النمط الغربى إيجابياته أو ملامح تفوقه المفيدة والنافعة ، وإنما وقفت نفسها على تقديم السلوكيات التى تتسافل بالإنسان العربى المسلم وتخرجه عن طبيعته وهويته ، وتحوله إلى مسخ شائه لا يصلح لشىء !.

وإذا كان اليهود الآن قد رحلوا عن السينما العربية عملياً ، فإن وجودهم الفكرى والتقنى ما زال باقياً ، فى تلاميذ مخلصين يتبنون كل ما هو مضاد ومعاكس للتصور الإسلامى الظافر ، وكل ما هو متعاطف ومتسق مع الفكر الآخر الصادر عن الغرب واليهود .. وقد عبر هؤلاء

التلاميذ المخلصون عن الفكر الآخر فى أعمالهم الدرامية والفنية ، فى السينما وعلى خشبة المسرح وشاشات التلفزة ، مما سنعرض له فى مواضع أخرى من هذه الدراسة .

* * *

البديل الآخــــر

ويلاحظ أن البديل الذى حل محل اليهود فى عمليات الإنتاج والتمويل الفنى مجموعات من النصارى المتعصبين الذين شذّوا عن التيار العام للنصارى فى العالم العربى ، وأخذوا على عاتقهم الاهتمام بمقاومة الصحوة الإسلامية وتشويه أفرادها ، فضلًا عن تبنى بعض القضايا التى لا تتفق مع الإسلام ولا تتواءم مع طبيعتنا الإسلامية وتصوراتنا الفكرية .. بالإضافة إلى بعض القضايا التى تدور حول المرأة مثل الطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ومعالجتها بمنهج أو تصور يضع الإسلام فى قفص الاتهام على طول الخط .

وقد تظن فى أول الأمر ، أن هذا النشاط فى مجال الإنتاج والتمويل ، نشاط عادى يقوم به بعض المواطنين مثل غيرهم .. ولكن عندما تدقق النظر فى طبيعة ما يقدمه هذا الإنتاج ،والإلحاح على قضايا معينة وأفكار بذاتها ــ كما سبقت الإشارة ــ ستدرك على الفور أن للمسألة وجهها الآخر ، الدميم والقبيح ، والذى يجب كشفه وتعريته ، حتى لا يسمينا البعض أمة من الغنم !.

إن الأعمال الفنية فى أيامنا الراهنة لم تعد بحال مجرد وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية ــ كما يقولون ــ ولكنها صارت وسيلة من أخطر الوسائل التى تحمل الفكر والتصور والاعتقاد ، وتقدمه للناس وهم فى حالة استرخاء واستعداد تام لتقبل ما يلقى والاستسلام له ، لأنه يقدم ملفوفاً فى إطار غير مباشر ، قد يكون نوعاً من الكوميديا التى تضحك ــ أو نوعاً من الإبهار الفنى ذى حبكة مشوقة ، فيتسلل ناعماً ورقيقاً إلى القلب والوجدان ثم العقل .. وهنا يتحقق الهدف الذى لا يعلن عن نفسه أبداً .

الشطارة والبطولة في الجنس والدعارة

[إن من يرى النماذج الشائهة والمنحرفة والحقيرة بكثرة ، يجب ألا يستغرب كثرة هذه النماذج وازديادها فى الواقع الاجتماعى الحقيقى ، ويجب ألا يطالب الشباب بالانتماء لأنه افتقد النموذج الصالح .. وعليه أن يحاسب أهل الفن أولًا ..]

دلالـــة عميقـــة

هنالك دلالة عميقة ومغزى كبير يتعلقان بمعالجة أهل الفن لموضوع الانحراف الجنسي أو ما يطلق عليه السقوط والدعارة .. هذا المغزى وتلك الدلالة يظهران بوضوح حين يصر أهل الفن على جعل المنحرف بطلاً ، والساقط شهيداً ، والعاهرة رمزاً للوطنية والكفاح والنضال ! وفى كل الأحوال ، فإن الإحساس الخلقى أو الالتزام العقدى لا وجود له ، ولا مكان ، على قائمة العمل الفنى ، الذى يكاد فى بعض الأحيان يجعل الدعارة ومقدماتها مسألة واقعية وطبيعية وعادية لا علاقة لها بالبناء الاجتماعى والسلوك العام والمواصفات التى صنعتها القيم الدينية والأعراف الموروثة والتقاليد الإنسانية .. وهذه المعالجة الرافضة للالتزام الدينى والإحساس الخلقى توحى غالباً بأن الانحراف يمكن أن يتحول إلى بطولة وأن السقوط يمكن أن يكون طريقاً إلى المجد ثم مدخلاً إلى التاريخ من أوسع أبوابه !! .

* * *

إقحـــام متعمد !!

ويثور سؤال حول إصرار أهل الفن على تقديم الانحراف السلوكى الجنسى وتناوله فى معظم أعمالهم ، بل إقحامه إقحاماً فى كثير من الأحيان بطريقة متعسفة تتنافى مع البناء الفنى للعمل الدرامى أو حتى الغنائى ، فى الموضوعات التى تتصل بالجهاد أو السياسة أو الكفاح ضد الاستعمار أو الاستبداد أو الطغيان .. لماذا يصر أهل الفن على ذلك ؟!.

الإجابة من وجهة نظرى لا تخرج عن أحد احتمالين ـ أولهما : أن الانحراف السلوكى الجنسى ، يمثل مادة خصبة وتجارية ، ولا تكلف فكراً ولا عناء فنياً ، لأنها لا تخرج عن تقديم المرأة بصورة تحقق الإثارة الجنسية ، مما يزيد فى إقبال الناس والشباب ـ وبخاصة المراهقين ـ على العمل الفنى ، وهنا مربط الفرس كما يقولون ، حتى يتضاعف العائد المادى الذى يعد الهدف الأساسى لمنتجى الأعمال الفنية أو أصحاب التجارة الحرام .

وثانى الاحتمالين ، أن أهل الفن يمثلون منهجاً مدروساً ومخططاً للإفساد الاجتماعى والتدمير الخلقى والتخريب القومى ، فى غياب تربية إسلامية صحيحة ناضجة ، وثقافة علمية عميقة واعية .. وإذا عرفنا أن كثيراً من المنتجين ـ أى أصحاب رأس المال الذى ينفق على إنتاج العمل الفنى ـ من أصحاب الأيديولوجيات الشريرة والفكر التدميرى ، ويرفضون أساساً فكرة الالتزام الدينى أو الالتزام الخلقى ، فإننا ندرك على الفور أن هدم العقيدة وتحطيم الأخلاق غاية فنية وموضوعية لدى أهل الفن ، لأن الهدم والتحطيم لا يتمان ـ عادة ـ إلا بالجنس ، وكما نعلم ، فإن الإثارة الجنسية أسهل الطرق وأسرعها للانحراف الجنسى على أرض الواقع وداخل البناء الاجتماعى .

وإذا عرفنا أيضاً أن مجموعة مؤثرة من العائلات المنتجة للأفلام والمسلسلات والأغانى والمسرحيات تنتمى إلى غير الإسلام ، أدركنا سر الإلحاح على الجانب الغريزى وتقديمه بصورة محببة إلى الشباب والمراهقين ، مما يوحى أن الإسلام يقف عقبة فى طريق إشباع الغريزة أو يفرض قيوداً وحشية تتنافى مع الإنسانية ! وهذا يخدم الجانب التعصبى لدى العائلات الطائفية المتعصبة ويدعمه .

* * *

تصـــدير التـــدمير

ولعلنا من هذا المنطلق ندرك لماذا تصر بعض القوى الشريرة فى العالم بكل الوسائل على تصدير الأفلام الجنسية الخالصة ، والتى تسمى عادة بالأفلام الزرقاء أو الأفلام « البورنو » ، أو الأفلام السرية ـ خاصة بعد انتشار أجهزة الفيديو انتشاراً كبيراً ـ إلى العالم الثالث ، ومنه العالم الإسلامى ، لتدمير أعز ما يملكه هذا العالم ، وهو الشباب ، فضلًا عن تحقيق المكاسب المالية الرهيبة من وراء إنتاج هذه الأفلام .

وللأسف الشديد ، فقد انساق بعض أهل الفن (من العرب

المسلمين) فى هذا التيار ، وسمعنا عن شىء مشابه لما يقوم به أهل الشر الأجانب !.

وإذا عدنا إلى السؤال الذى طرحناه قبل قليل حول إصرار أهل الفن على تناول الانحراف السلوكى الجنسى فى معظم الأعمال الفنية التى يقدمونها للجمهور ، واستمعنا إلى وجهة نظرهم ، وجدناهم يقولون :

« إن الجنس جزء من حياة الناس ، والعبرة ـ كما يقولون ـ ليست بوجود الجنس من عدمه ، ولكن بتوظيفه فنياً بما يخدم العمل الدرامى فى النهاية » .

وهذا منطق يبدو صحيحاً ، ولكنه فى جوهره يخلط الحق بالباطل .. فنحن نقر ونعترف إسلامياً وإنسانياً ، وفنياً أيضاً ، بأن الجنس جزء من حياة الناس ، بل ضرورة اجتماعية وإنسانية وبيولوجية ، ووجوده فى بعض الأعمال الفنية أو الدرامية مسألة طبيعية .. ولكن السؤال هو : كيف نعالج موضوع الجنس فى العمل الفنى ؟ إن المعالجة الفنية لمسألة الجنس ليست من الصعوبة بمكان حتى نستبدلها باستخدام المرأة فى وضع مثير ، فهناك ألف وسيلة ووسيلة للتعبير عن الجنس دون إثارة أو استفزاز المشاهد أو المستمع ، أو المتلقى بصفة عامة . وقد سبق القرآن الكريم إلى التعبير عن العلاقة الجنسية فى أكثر من موضع بالأسلوب المهذب والصورة النقية والمشهد المؤثر لا المثير ، ولعل سورة يوسف أفضل مثال فى هذا المجال .. بل إن بعض الأعمال التليفزيونية قد استطاعت أن تقدم الجنس بطريقة جيدة ، دون إثارة أو فتنة .

* * *

بديل مثيـــر !!

ويبدو أن أهل الفن والذين هم أقل إصراراً على تناول الجنس المثير ، يستعيضون عن ذلك بتقديم أو إدخال مشاهد الرقص الشرقى المثير فى الأفلام والمسرحيات والأغانى والمسلسلات لتكون بديلاً عن الجنس المكشوف .. وكانوا يسمون تلك العملية من قبل ، بالتوابل التى تعطى مذاقاً شهياً (!) للعمل الفنى !! أما الآن فإنهم يرون أن وجود الراقصة الشرقية فى أى عمل

مسألة ضرورية ومفروغ منها .. وقد أدى ذلك إلى رسم صورة غريبة حُفرت فى أعماق الذهن الاجتماعى مؤداها أن الأفراح أو حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية الأخرى المشابهة ، لابد أن تتوج بوجود الراقصة ، وإن لم توجد فكأن المناسبة غير ناجحة ، أو كأنها لم تكن !! .

* * *

جــزء من الطقــوس !!

ومع انقلاب القيم والمفاهيم فى العقود الأخيرة صارت الراقصة جزءاً من طقوس الطبقات المتسلقة والانتهازية والمشبوهة والجمهور الذى لا يعرف إلا الماديات والمحسوسات فقط .. وقد نشرت إحدى الصحف رسالة طريفة من قارىء تتحدث عن طلاق عروسين لأن حفل الزفاف لن تكون به راقصة ، أصر أحدهما على وجودها ، وأصر الآخر على عدم وجودها .. يقول القارىء « محمد نجيب عباس » فى رسالته إلى جريدة « الأهرام » (١٩٩١/٩/٤) :

اخترقت أذنى أصوات مرتفعة خرجت فجأة من أحد المنازل المجاورة .. الأب يقسم بأن فرح ابنته لن يتم إلا فى وجود (راقصة) .. العريس يرد عليه بانفعال : لن يحدث ذلك ولو ألغى الفرح بالكامل ، الأم والأب يتحديان العريس ويتساءلان : هل هناك فرح بدون راقصة ؟ ، ومثلما ارتفعت الأصوات فجأة انخفضت فجأة ، فاستفسرت ـ متطفلًا ـ وعرفت أن العريس طلق العروس قبل الزفاف بثلاثة أيام لاختلافه مع أسرة العروس على قضية الراقصة .. ، ويستطرد القارىء « محمد نجيب عباس » قائلًا : « هذا ليس مشهداً سينمائياً لكنه موقف حقيقى حدث فى منزل مجاور . فهل أصبح الرقص عنصراً أساسياً ومكوّناً هاماً من مكونات الفرح الناجح والحياة الزوجية الهادئة ؟! » .

* * *

المــــخ المسلم

ويبدو أن القارىء الكريم نسى فى غمرة انفعاله بالموقف الذى يرويه أن يقول إن ترويج أهل الفن للرقص فى أعمالهم داخل مجتمع ألهته المادة عما وراء المادة كان السبب الرئيسى فى تفضيل أسرة مسلمة لطلاق ابنتها على زفافها بدون راقصة . إن رسالة القارىء الفاضل تحمل أبعاداً ودلالات خطيرة تدل على أن « المخ المسلم » لا يتمتع بالعافية ، وأن درجة مرضه تنذر بشر مستطير ، مما يستدعى أن نؤذن فيمن يعنيهم الأمر : حىّ على العمل لإنقاذ « المخ المسلم » من التفاهة والتسطيح والاستلاب والغسيل الذى يتم بالصودا الكاوية (الفنية طبعاً) كى لا يبقى فيه أثر من قيم أو مروءة أو نخوة أو انتماء للفطرة الإنسانية الصافية كما أراد لها الله .

إن إصرار أهل الفن على تناول الانحراف السلوكى الجنسى والإلحاح عليه بشكل مكشوف ، أو من خلال الرقص الشرق فى معظم أعمالهم الدرامية ، يجعلنا نتساءل مرة أخرى :

هل يقدم هذا التناول حلاً معقولاً للانحراف السلوكى الجنسى بما يخدم المجتمع ويقطع دابر الرذيلة ؟.

* * *

لا يوجـــد حـــل !!

الحق أن المعالجة الفنية لهذه المشكلة لا تقدم أى حل معقول ، أو غير معقول ، بل إنها تضيف إليها مشكلات أخرى أشد وأكثر إيلاماً ، وذلك بغواية آخرين وإغرائهم للولوج فى دنيا الانحراف السلوكى الجنسى ، والسقوط فى أوحاله ، بحثاً عن تحقيق الخيالات والأوهام التى يصنعها التناول الفنى فى أذهان المحرومين والمراهقين الذين تضغط عليهم الظروف الاقتصادية والاجتماعية وتمنعهم من تحقيق سنة الزواج وفريضة الاستقرار وحق الإشباع !!.

* * *

لا يفكـــر فى الله !!

إن التناول الفنى للمشكلة لا يجعل المنحرف يفكر فى الله أو التوبة أو البحث عن النجاة بمفهوم خلقى ، بل يكون المنحرف أو المنحرفة ، فى دنيا أخرى ومشكلة أخرى هامشية تأخذ درجة الأسبقية على مسألة الشرف والعرض والخلق والدين ، وتأخذ المشكلة الجديدة – وقد صارت مشكلة رئيسية وهى هامشية فى الواقع – بعداً آخر يغطى على كل الأبعاد ، ويصبح الجزاء أو العقوبة على الانحراف الهامشى ، وليس على الانحراف الرئيسى الذى يتعلق بالجنس أو العِرض .. مثلًا إذا كان المنحرف – أو المنحرفة – لصاً ، أو تاجراً مخدرات ، أو طالب ثأر ، أو نصاباً ، أو داعية لفكر يتناقض مع أفكار المجتمع ، فإن انحرافه الجنسى – أياً كانت طبيعته – لا يمثل قلقاً للشخصية التى تؤدى دوره ، ولا يشكل – بلغة القانون – جريمة تقتضى المحاكمة ، ولكنه يصبح – فى الغالب – حالة من الكوميديا التى تستدعى الضحك أكثر مما تستدعى الغضب أو الانفعال !! ماذا نفهم مثلًا من معالجة فنية لحالة « مجرم » يرافقه أحد الضباط فى مهمة ما ، فيستأذن من الضابط ليزور إحدى قريباته العجوز – كما يقول – ثم تكشف لنا « الكاميرا » أنه يقضى حاجته بين أحضان امرأة ساقطة ، وحين يأتى الزوج المخدوع ويجد الضابط واقفاً أمام باب منزله فيشتبك معه على أنه لص (..) وهنا يخرج « المجرم » يلملم نفسه ويقول إنه كان يطفىء حريقاً ! (لاحظ التورية !) ثم يجرى مع الضابط وهو يضحك منتشياً ، بينما الزوج المخدوع يفغر فاه فى ذهول ، والزوجة الخائنة رابطة الجأش لم يصبها أى ذهول ! وتمضى الأحداث التى جاءت فى إطار كوميدى (ضاحك) ، وكأن شيئاً لم يكن ، بل إن الجمهور يتعاطف مع المجرم « الظريف » لما يثيره من مفارقات ضاحكة ، وفى كل الأحوال ، فإن صناع الفيلم مشغولون أساساً بمطاردة عصابة لصوص .

* * *

أحيـــاء الدعـــارة !!

فى هذا المناخ ، وبهذا التصور للانحراف السلوكى الجنسى ، الذى لم يعد انحرافاً لدى أهل الفن ، فإن المرء لا يستغرب أن تجرى أعمال فنية بأكملها فى أحياء الدعارة والبغاء التى كانت معروفة فى بعض الأماكن منذ عشرات السنين ، وأن يتطوع أهل الفن لإخراج أفلام ومسرحيات حول ما كان يدور فيها ويجرى ، مع التركيز على وطنية القوادين والبلطجية والعاهرات والمنحرفين وبطولاتهم ومشاعرهم الإنسانية الرقيقة (!!) .

* * *

أبطـــال وعاهـــرات !!

مثلاً قام أهل الفن منذ سنوات بصناعة فيلم تدور أحداثه فى أحد أحياء البغاء ، فقامت الرقابة بمنعه ، وكانت الأسباب واضحة ومقنعة ، وموجزها أن ذلك الأمر دخل دائرة التاريخ ولم يعد له وجود فى واقع المجتمع المعاصر ، وأن تناول الموضوع لا يمثل حلاً لمشكلة قائمة أو ذات أهمية للمجتمع ، بل إنه يعد عنصر إساءة ، وتشويه صورة المجتمع كله دون سبب أو داع . ولجأ أصحاب الفيلم إلى القضاء فى أعلى درجاته ، وكان موقف القضاء حاسماً ، واستمر منع عرض الفيلم قرابة عشر سنوات ، حتى جاء من يبحث عن ثغرة فى الإجراءات القانونية ليبطل بها حكم القضاء ، وليترتب على ذلك عرض الفيلم واستغلال غرائز الناس التى يشدها كل ما هو ممنوع ، الأمر الذى حرّك أقلاماً عديدة ترفض هذا الاستغلال الرخيص الذى يسعى إلى الكسب الحرام على حساب المجتمع وقيمه وأخلاقه ، وقبل ذلك دينه وعقيدته . وقد علق أحد الكتاب على إعادة عرض هذا الفيلم ساخراً وغاضباً ممن يرون أن تشويه تاريخ المجتمع نوع من « الإبداع » الفنى .. وأن عرض الأجساد العارية ، وظهور « الشواذ » داخل أحد بيوت الدعارة نوع من « الإبداع » الفنى ، وأن امتهان التاريخ وتزييفه نوع من حرية التعبير عن الرأى !!.

* * *

مثـــل شعبى !!

ولكن التعليق الذى كان أشد وقعاً ، وأقوى تأثيراً هو ما ورد برسالة أحد القراء إلى جريدة الأهرام (١٩٩١/٩/١٠) ، يعلق فيها على فيلم الدعارة المشار إليه ، فكتب يقول :

يحكى أن حريقاً هائلًا شبَّ فى أحد الحمامات الشعبية بحىّ الجمالية ، أيام العصر المملوكى فى يوم كان مخصصاً للنساء فهرب بعض النسوة وهن عاريات إلى الشوارع وبذلك نجون من الموت ، بينما منع الخجل والحياء باق النسوة من الهرب مفضلات الموت على الهرب عاريات . وكانت النهاية المحتومة لهن هى الموت حرقاً ــ ومن هنا نشأ مثل « اللى اختشوا ماتوا » ــ وقد تذكرت هذا المثل المصرى القديم عندما قادنى حظى العاثر إلى مشاهدة أحد الأفلام المصرية التى تعرض حالياً بإحدى دور السينما من الدرجة الأولى ، وهالنى وأفزعنى أن أحداث الفيلم جميعها تدور فى حى الدعارة المعروف والذى ألغى منذ سنوات طويلة عام ١٩٤٦ على وجه التحديد ، وبطبيعة الحال كان الفيلم حافلًا بالمشاهد الفاضحة ، والحوار المكشوف ، وما تيسر من مشاهد العنف والقتل والدم والسرقة بالإضافة إلى تعاطى المخدرات والخمور وألعاب القمار ، أى كل ما يفسد الشباب والكبار على السواء ، فضلًا عن ظهور مجموعة منتقاة من أجود أنواع القوادين والبلطجية والشواذ جنسياً من أشباه الرجال ، أما ما هو أسوأ من هذا كله فيتمثل فى ظهور أحد الباشوات زمان وقد حزمته امرأة ساقطة ، وأخذ يرقص على واحدة ونص فى أحد أوكار الدعارة ، وينادى بأعلى صوته مطالباً بتهزيئه وضربه على قفاه ، بل وبالحذاء أيضاً ــ ولعل السؤال الذى يطرح نفسه هو ما هى المشكلة التى يعالجها مثل هذا الفيلم وقد ألغيت الدعارة من بلادنا وأزيلت هذه الوصمة من جبين مصر منذ ٤٢ عاماً وقبل قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ بثلاث سنوات ــ ومما هو جدير بالذكر ويحمد لباشوات زمان أنهم هم أنفسهم الذين أزالوا هذه الوصمة من جبين مصر ؟! ــ لواء شرطة / (فاروق محمد وهبة) .

* * *

أقـــلام ملوثة !!

ولعل هذه الرسالة العفوية التى كتبها مواطن لا يحترف الكتابة تغنى عن كل تعليق ، وفى الوقت نفسه ترد على بعض أصحاب الأقلام التى تخلت عن واجباتها ، ونظرت إلى الموضوع نظرة ذاتية تحكمها المصلحة الشخصية قبل المصلحة العامة ، فمن المؤسف أن يتصدى صاحب قلم للتعليق على إعادة عرض الفيلم المذكور ليقول إن الرقابة قد ردت إليه « الروح » ، وينعى على الرقابة قرارها القديم بمنعه ، ثم يزعم أن لهذا القرار أثره الخطير على ما يسميه الأوساط الفنية والجمهور وكل القضايا التى تتعلق بالحريات والديمقراطية وحرية الفنان (..) ، ويخلص إلى القول بأن قرار المنع يمثل « مذبحة للسينما » (!) .. وبعد أن يستعرض الكاتب صاحب الهوى وقائع الفيلم الجريمة ، يصفه بأنه وثيقة اتهام وإدانة للفساد السياسى والذى يعد أشد خطورة من الدعارة التقليدية .. وهذا ــ كما يدعى ــ مالم تدركه الرقابة منذ ثمانية أعوام عند المنع أو ــ كما يقول ــ ربما أدركته قبل المنع ، وكان وراءه !.

وهذا كلام رخيص يمثل منهجاً إجرامياً فى حق الأمة ، لأن المسألة ببساطة لا تستدعى أن يكون هنالك جمع بين الدعارة السياسية والدعارة الجنسية .. والسؤال هو : أين الشرفاء والشريفات وما أكثرهم ــ فى المجتمع ؟ أين الذين يضحون من أجل الأوطان والأخلاق والكرامة ؟ أين الزعماء والقادة الذين التف حولهم الناس وقدموا معهم الأرواح والأموال فداء للحرية والدين ؟.

يبدو أن البعض يرى أنه لا غضاضة إذا سخر قلمه ليخدم أهل الفن ، نظير المقابل المعلوم ، ولم يعد خافياً أن أهل الفن يدفعون بسخاء لبعض الأقلام التى فقدت العفة والشرف ، وآثرت أن تمارس نوعاً آخر من الدعارة ، هو دعارة الكلمة النجسة التى لا تستحى ولا تخجل .

* * *

جامعــات القــادة !!

إن أصحاب التجارة الحرام لا يستحون من الله ، ويصرون أن تكون أوكار الانحراف هى الجامعات والمدارس التى يتخرج منها القادة والزعماء الوطنيون ، ولم يتذكروا يوماً أن القادة والزعماء الحقيقيين تخرجوا فى المساجد ومعاهد العلم وجامعات المعرفة ، وكانوا أمثلة حيَّة على العطاء والتفانى والخلق الرفيع والتدين المستقيم .. ونحن على كل حال ، لا نظن أن أوكار الهوى يمكن أن تقدم وطنياً مخلصاً أو شهيداً حقيقياً أو امرأة صالحة تملك حسًّا وطنياً أو عقدياً .

ونحن نتساءل مرة أخيرة : ألا يوجد فى المجتمع وأفراده أماكن أخرى . ونماذج مغايرة ، تختلف عن أوكار الانحراف والدعارة ، وأبطال البلطجة والعربدة ، تصلح للتناول الفنى ؟.

الإجابة بالتأكيد : بلى .. توجد أماكن طاهرة كثيرة ، وأشخاص صالحون كثيرون ، ولكن عمى الألوان أصاب أهل الفن من أجل مصالحهم الضيقة ومكاسبهم الواسعة ، ثم إن من يرى الأعمال التى تقدم الآن ، ولا يرى فيها إلا النماذج الشائهة والمنحرفة والحقيرة ، يجب ألا يستغرب ازدياد هذه النماذج فى الواقع الاجتماعى الحقيقى ، ويجب ألا يطالب الشباب بالانتماء ، لأنه افتقد النموذج الصالح ، ولم يُرَبَّ إلا على النموذج الطالح ، وعليه أن يحاسب أهل الفن أولًا ، وفى كل الأحوال .

* * *

الوجه والقناع
أو السلوك الشخصي والاجتماعي

[إن كثيراً من أهل الفن قد خسروا أنفسهم وأبناءهم وكل شيء .. وأضاعوا حياتهم هباءً منثوراً فى شهرة زائفة ومجد مفقود !!]

شخصيـــة عامــة !!

تنعكس صورة الفنان فى سلوكه الشخصى داخل المجتمع على أفراد المجتمع تلقائياً ، فقد صار الفنان شخصية عامة ، تدخل كل البيوت بلا استئذان عبر وسائل الإعلام والترفيه المختلفة . ومن ثم يكون السلوك الشخصى للفنان ذا حساسية شديدة ، وتأثير كبير على المتلقين بصفة عامة ، بعد أن راحت الصحف والمجلات وأجهزة الإذاعة والتلفزة تقدم الفنان بوصفه نجماً أو كوكباً بالنسبة لغيره من المواطنين ، فهو أكثر تميزاً وتفرداً ، وتنقل أخباره الفنية وأحواله السلوكية والاجتماعية ، وهواياته الرياضية والفنية والثقافية وغيرها .. إذا عطس شمتته أجهزة الدعاية المقروءة والمسموعة والمرئية ، وقالت : يرحمكم الله !! وإذا استيقظ قالت له : صحّ النوم ، وإذا مرض قالت له : سلامتك ، وإذامات شيَّعته كما يشيع الأبطال والفاتحون بجنازة ليس لها مثيل !! .

* * *

صـــورة لا تسر !!

ولا ريب أن صورة السلوك الشخصى للفنانين محفورة فى الأذهان ، وهى صورة لا تسر بحال ، لأنها تعنى السلوك المتحرر المنطلق بلا ضوابط ولا معايير ، فالفنان يفعل ما يشاء ، ويتصرف كما يريد سواء اتفق تصرفه أو فعله مع القيم السائدة فى المجتمع أو اختلف .. وبعد أن كان السلوك الشخصى للفنانين تتداوله الألسنة ، وتنشره الصحف ، وتتحدث عنه أجهزة الإذاعة والتلفزة ، وجد البعض فى نفسه الجرأة كى يقدم أفلام « فيديو » تنقل على الطبيعة سلوك الفنانين وعلاقاتهم فى الحفلات الخاصة جداً ، فيراهم المشاهد فى حالة ابتذال وإسفاف : شرب ورقص وعرى وبذاءات ..

* * *

نفـــــر قليـــــل !!

بالطبع هناك نفر قليل من الفنانين لا يقارف هذا المجون السفيه ، فلا يحضر الحفلات الصاخبة ، ولا يشارك فى تلك المساخر التى لا تتفق مع منهج الاستقامة والرشد ، وفى الوقت نفسه فإنه يتحمل نتيجة موقفه تعتيماً وتجاهلاً ، وعملاً قليلاً ..

وباستثناء موقف هذا النفر القليل ، فإن الصورة العامة للسلوك الفنى أو سلوك الفنانين قاتمة جداً ، وهابطة للغاية ، وبخاصة لمن يطالع صفحات الحوادث فى الصحف السيارة ، فهناك حوادث مخجلة ومؤسفة تنتهى عادة فى أقسام الشرطة وغرف السجون ، وما يكاد يمضى شهر إلا ونطالع حوادث شتى تتعلق بمخالفة الآداب ، أو تعاطى المخدرات ، أو إدمان السموم البيضاء أو غير ذلك .. ولاشك أن ملفات شرطة الآداب تحوى الكثير مما تشير إليه الصحف إجمالًا أو تلميحاً ، وصار الذهن العام يحمل إحساساً غير طيب تجاه أهل الفن : نساءً ورجالًا .

* * *

فـــــريق المخـــــدوعين !!

ولم يعد خافياً أن فريقاً ممن ينتسبون إلى المجال الفنى ، يشعرون أنهم قد غُرِّر بهم ، وأنهم خدعوا ، واستدرجوا ، وأن سذاجتهم كانت من وراء سوء حظهم وبشاعة خيبتهم .. وصار من المألوف أو من « حلاوة الروح أن يعلن واحد أو واحدة أنه طُولب بتقديم تنازلات » ولكنه رفض .. ترى ما هى هذه التنازلات ؟ وقد تكون تنازلات خُلقية أو فكرية أو عقدية .. أو كلها مجتمعة ، فأصحاب « التجارة الحرام » لا يأبهون بعقيدة أو فكر أو خُلق ، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة ..

ولعل أبسط التنازلات أن يتنازل الفنان أو الفنانة عن اسمه ولقبه واسم عائلته ، ليمارس تجار الحرام تجارتهم بطريقة أفضل ، وأكثر جدوى ، وأشد جاذبية .. ومن التنازلات الأخرى أن تعلن الفنانة مثلًا أنها غير متزوجة ليتهافت عليها الجمهور ، أو تسمع وتطيع أوامر المخرج أو المنتج بالعمل فى

أى وقت وعلى أية صورة حتى لو كانت الظهور بمظهر غير لائق .. أما تنازلات الكواليس أو ما وراء الشاشة فأمر نعف عن الخوض فيه !! .

* * *

بخـــلاء .. ومبـــذرون !!

والملاحظ أنه بالرغم من الدخول المادية لطبقة أهل الفن ، فإنهم لم يتحركوا يوماً بالإسهام أو المشاركة فى حل أية مشكلة اجتماعية ، أو إنسانية ، بل عُرف عن الكثير من مشاهيرهم البخل والتقتير فيما يتعلق بمشكلات وقضايا المجتمع ، والإسراف والتبذير إلى درجة السفه فيما يختص بنزواتهم وشهواتهم الخاصة .. بل إنهم لا يدفعون حقوق المجتمع التى تفرض على الناس مثل الضرائب وغيرها ، فضلاً عن كونهم لا يساعدون فقيراً ولا محتاجاً .. وباختصار ، فإنهم يعيشون بأنفسهم ولأنفسهم ومع أنفسهم وحسب !! .

* * *

النشـــأة والتربيـــة !!

والسؤال الآن : هل كان لظروف النشأة والتربية أثر فى توجه الفنانين إلى مهنة الفن بما فيها من إثارة وغموض وأسى ، وما عليها من مآخذ وتحفظات ؟.

لا ريب أن الإجابة تؤكد ذلك إلى حد كبير ، فمعظم الذين اتجهوا إلى هذه المهنة كانوا ضحايا طفولة غير مستقرة ، يستوى فى ذلك الذين ينتمون إلى أسر كبرى ، أو أسر متواضعة .. فالطفولة المستقرة أساس النمو الصالح والمطرد ، والتربية السليمة أساس الاتجاه المستقيم فى مجال الحياة المفيدة والنافعة .. ووقفة عابرة أو متأنية أمام السيرة الذاتية لمشاهير أهل الفن رجالًا ونساءً ، تكشف لنا الكثير من الظروف القلقة والمضطربة التى دفعت بهم إلى هذا المجال ، وجعلت الكثير منهم يقدم ما يسمونه بالتنازلات ، ويعيش فى مستنقع أهل الفن الآسن حتى يصل إلى القاع .. إنهم يبدون للوهلة

الأولى ضحايا حياة أسرية شقية ، ونتاج تربية سيئة إن كان هناك من يربى ويرعى .. فينتسبون إلى المجتمع بوصفهم عالة عليه ، أو نسيجاً خاصاً لا صلة له بنسيج المجتمع ، ومن هنا يكون تطرفهم فى الخروج على القيم والتقاليد والأعراف بدءاً بالقبول بتغيير أسمائهم إلى الانخراط فى سلوك شاذ ومرفوض وشائك .. ولعله لهذا السبب نجد إصرار كثير منهم على نقل قصة حياته بطريقة ما إلى المجال الدرامى أو غيره ليبدو شهيداً وبطلًا وضحيَّة !! وليدين المجتمع الذى أوصله إلى عالم السقوط (أو المجد كما يعتقد) !! ولكنه فى كل الأحوال يذهب ، ولا تبقى منه إلا معالم الانهيار والأسى والمحنة !! .

* * *

الحكمـــة الإلهيـــة !!

وقد تأملت فى بعض الحالات التى آل إليها أهل الفن ، ورأيت الحكمة الإلهية ، وهى تجعل من بعضهن يعيش حياته وحيداً ، ويموت وحيداً ، وتذهب الثروة التى كونها بالبخل والتقتير والشح وأشياء أخرى إلى ورثة يبددون كل شىء فى لمح البصر ، أو ينفقونه فيما يضر ولا يفيد .. ثم تكون المفارقة العجيبة حين يموت بعضهم فلا يمشى وراء جنازته إلا نفر قليل من الجيران وأهل الخير ، بينما زملاؤه من أهل الفن ، وأصدقاؤه الكثيرون الذين كانوا لا يفارقونه فى حياته وهو يغدو ويروح ، قد انفضوا من حوله ، ولم يتذكروه يوم رحيله !! .

أما من يخلف وراءه ولداً أو بنتاً ، فيا لهول ما يعانيه هذا الولد أو تلك البنت من نظرات المجتمع على كافة المستويات . وتكون المسألة أسوأ بكثير إذا كانت الأم « راقصة » أو « مطربة » أو « ممثلة » !! وإذا كان الإسلام يأبى أن يتحمل شخص ما جريمة شخص آخر ، فإن واقع المجتمع لا يرحم ، وربما كان ذلك انطلاقاً من رفضه للخروج على القيم والعادات ، ومبالغة فى تعبيره عن هذا الرفض !!.

* * *

حادثة حيَّـــة !!

نشرت الصحف منذ مدة قصة مطولة عن إحدى الراقصات ماتت فى غرفتها وظلت لمدة أسبوع دون أن يعلم بها أحد ، ومعها طفلها الصغير « فى الثالثة من عمره » استطاع أن يعيش على حبات الطماطم الطرية وأوراق الفجل التى كانت فى ثلاجة البيت .. وبعد أن تعفنت الجثة وتسربت رائحتها الكريهة من أسفل الباب هبَّ الجيران لمواجهة الموقف ، وجاءت الشرطة ليكتشف الجميع المأساة المروعة التى حلّت بطفل برىء ، وأمه التى كانت ملء السمع والبصر ، وزينة الأفراح والليالى الملاح ، وسهرات الأنس والنوادى !! .

إنها واحدة من الضحايا اللاتى سرقهن الانحراف إلى عالم الفن ، فتمردت على أسرتها ، وانقادت لأصدقاء السوء وصديقاته ، وارتدت بدلة الرقص ، وأخذتها نشوة الشهرة ، وبريق المال .. ولكنها بعد حين اكتشفت أنها فقدت إلى الأبد الحياة الآمنة والشبع الروحى والامتلاء العاطفى ، فانغمست فى الشرب والسكر والإدمان ، وأصيبت بتليف الكبد نتيجة لتشبع جسمها بالكحوليات ، ورقدت فى غرفتها وحيدة بعد أن ضاع كل ما جمعته ، وذهبت فى مشهد مأساوى بعد أن ضيَّعت طفلًا بريئاً لا ذنب ، وحرمته من حياة طبيعية آمنة !! .

* * *

إنهم لا يتعظـــون !!

إن أهل الفن فى غمرة الشهرة وبريقها ينسون أشياء كثيرة ، ويظنون أن الشهرة باقية ، والمال لن ينفد ، والبريق لن يزول ، ولكنهم واهمون ، لأنهم يذهبون ويذهب معهم كل ما جمعوه .. لقد أعجبنى ما قاله أحد علماء النفس تعليقاً على انحرافات بعضهم :

[أتمنى أن يعى كل الفنانين أن كل شىء فان !! وأتمنى أن يعرفوا أنهم مثل أى إنسان عادى فى المجتمع ، بل هم أقل من أى إنسان عادى ، لأن معاصيهم كثيرة ، وحسناتهم قليلة ، وسمعتهم سيئة !!] .

لقد كان غريباً أن يسخر بعضهم من توبة بعض الفنانين والفنانات ، وكان تساؤلهم الساخر : التوبة من أي شيء ؟! .

ونحن بدورنا نسألهم : ومن أي شيء لا يتوب أهل الفن ؟ إن معظم أعمالهم تنطق بالإثم والجريمة فى حق الأمة والوطن ، فضلًا عن الدين .. ثم إنهم يستنكفون أن يتوب الفنان ويرجع إلى ربه ، وينسون أن المسلم مطالب بالتوبة والعودة إلى الله فى كل لحظة وكل حين .. أليس هو الله الذى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن كثير ؟ أليس هو الذى يحب التوابين ويحب المتطهرين ؟ أم إن القوم من أهل الفن فى استنكافهم وعزوفهم عن التوبة قد انسلخوا عن الدين ، وأسقطوه من حسابهم ؟! .

* * *

أرباح وخسائر !!

إننا نقول لهم : انظروا حولكم وتأملوا ما جرى لزملائكم وزميلاتكم ، وحاولوا أن تنظروا فى كشف الحساب لتجدوا أن الأرباح قليلة والخسائر كبيرة .. فالذى قدموه ـ وكذلك أنتم ـ لم يكن فناً حقيقياً بقدر ما كان ابتذالًا وسقوطاً فى وحل الحيوانية الرخيصة .

* * *

انهيار الصورة !!

ثمة جانب آخر لسلوك أهل الفن ، أو صورتهم الشخصية ، ينعكس على المجتمع وأفراده ، ويرسم فى مخيلة الأمة حالة من انهيار الصورة أو السلوك ، ويمكن القول إن الجانب السلوكى الذى يتعلق ببناء الأسرة فى المجتمع الفنى يمثل حالة الانهيار والتردى ، وافتقاد الصبغة الإنسانية التى يتسم بها الكيان الأسرى عادة . إن أهل الفن بحكم وجودهم الدائم أمام عيون الجمهور وداخل ذاكرته بسبب الإلحاح الإعلامى (المرئى والمسموع والمقروء) ، يمثلون صورة رديئة وشاحبة وباهتة للأسرة بمفهومها الاجتماعى المستقر والمُنتِج .. فما أكثر حالات الزواج والطلاق التى تتم أو تقع بين أهل

الفن ، وما أبشع النتائج التى تترتب على تكرار الزواج والطلاق .. بل ما أكثر المآسى التى يدفع ثمنها أبرياء آخرون لا ذنب لهم ولا جريرة ..

إن الزواج ـ بل الطلاق ـ الذى يحدث فى المجتمع الفنى ، يكون غالباً نتيجة لصفقة تجارية أو نزوة شهوانية لها مقابل مادى أو معنوى ، وبعد أن تنتهى دواعى الصفقة أو النزوة ينتهى الزواج ويقع الطلاق ، وبلا ريب فإن عدد المرات التى يتم فيها الزواج أو يحدث فيها الطلاق بين أهل الفن تمثل أعلى نسبة فى المجتمع كله .. والجمهور الذى يتابع أخبار أهل الفن يرصد ـ بلا شك ـ أن فلاناً تزوج عدة مرات ، وفلانة تزوجت بعدد أصابع يديها ، وطلّقت بالعدد ذاته أيضاً ..

* * *

خطـــأ ما ..!!

وكثرة الزواج والطلاق ـ على إباحتهما شرعاً ـ دليل على خطأ ما لدى الطرفين أو أحدهما على الأقل ، إذ إنه ليس زواج استقرار وبناء أسرة وتربية أولاد وحياة مستقيمة .. ولكنه فى الغالب زواج مصلحة . أحد الطرفين أو كلاهما يريد فائدة من الآخر ، وبعد أن يحصل عليها ينتهى سبب الزواج ، ويتم الطلاق .. ولهذا لا نعجب حين نرى فناناً عجوزاً أو منتجاً فنياً ، أو مطرباً أو ملحناً بلغ أرذل العمر يتزوج فنانة صغيرة فى عمر أولاده أو أحفاده ، ثم لا يلبث الزواج بعد فترة وجيزة أن ينتهى ، والعكس أيضاً صحيح حين نرى فنانة عجوزاً تتزوج فناناً فى عمر ابنها أو حفيدها ، ولا تخجل من ذلك ثم لا يلبث زواجهما أن ينتهى ، والسر فى ذلك واضح ولا يحتاج إلى زيادة إيضاح .. ولكن المسألة فى كل الأحوال تعطينا دلالة على أن الأسرة لدى غالبية أهل الفن أسرة منهارة ، وغير طبيعية ، وقبل كل شىء ، أسرة غير مستقرة .

* * *

لا .. للمسئولية ..!!

ولا ريب أن الضحايا فى هذه الحال هم الأبناء الذين يأتون على كُرهٍ من الأبوين عادة ، فزواج المصلحة لا تعنيه مسألة الإنجاب أو الحرص على تربية الأبناء ، ولعل ذلك يفسر أن كثيرين من أهل الفن يحرصون على أن يكونوا بلا أبناء . هناك أسباب أخرى بالطبع ، منها حرص الفنانة أن تحتفظ بمظهرها الرشيق الفاتن ، وأن تبدو ـ دائماً ـ شابة فتيَّة مرغوبة تجذب الجمهور ، وحرص الفنان أن يكون متحرراً من قيود الأبناء وأثقالهم ، وفى الحالين فإن الطرفين سعيدان بعدم وجود رابطة تشد كلاً منهما إلى الآخر ، حتى إذا جاءت لحظة الطلاق ، كانت عملية التخالص سهلة ويسيرة وبلا عقابيل ..! .

* * *

مفاجأة غير متوقعة ..!!

لكن الحكمة الإلهية تفاجىء الطرفين أحياناً بما ليس فى الحسبان ، فيكون لهما ابن أو أكثر ، وهنا يكون عناء الوالدين أو جريمتهما ، فطفل الأسرة الفنية يعيش غالباً حالة الحرمان والضياع ، لأنه ينشأ على الرضاعة الصناعية عادة (لتحتفظ أمه برشاقتها وجمالها وعدم ترهل صدرها أو انكماشه !) ، ومع هذه الحالة يفتقد التوازن النفسى والروحى ، فيشب منحرف المزاج ، منطوياً يعتزل الناس ، أو عنيفاً يصب جام غضبه على المجتمع وأفراده من خلال سلوكيات شاذة أو عدوانية ، وبالطبع فإن الإدمان غالباً يكون الملجأ الذى يأوى إليه الابن الضال بعد أن أهملته أسرته الفنية ، حيث تكون نهايته ، وربما نهاية أبيه وأمه .. وكثيراً ما نشرت الكتب التى تتحدث عن الإدمان روايات تثير الأسى والرعب عما جرى لأبناء بعض الفنانين والفنانات ، الذين ضاعوا بسبب الحرمان العاطفى ، وعدم الإشباع الروحى ، وافتقاد الحنان الأسرى ، والتربية الاجتماعية الطبيعية .

عـــذاب لا يطـــاق ..!!

ويعانى الأبناء الذين يملكون قدراً من المقاومة فى مراحل التعليم وداخل المجتمع عناءً واضحاً إلا من رحم الله ، وبخاصة إذا كانت الأم مشهورة فى مجالات الرقص أو الغناء أو التمثيل .. فمعايرة الأقران ونظراتهم تمثل لهؤلاء الأبناءِ عذاباً نفسياً لا يطاق .. وكم أنكرت أمهات أمام الناس أن لهن أبناءً أو بناتٍ كى لا يسببن لهم أو لهن عذاباً مضاعفاً !!.

* * *

نقطـــة حساسة ..!!

ولعل هذه النقطة الحساسة هى التى دفعت بعضهم إلى معالجة المسألة سينمائياً ، ولكن من وجهة نظر متحدية ، لمواجهة الواقع الرافض لامتهان الأم مهنة الفن والرقص خاصة . وقد ظهر منذ سنوات فيلم تقوم فيه الابنة ـ وهى طالبة جامعية ـ بالحلول مكان أمها الراقصة التى كبرت وشاخت وتضخم جسدها ، ويصر صانعو الفيلم على التعاطف مع الفتاة الجامعية الراقصة على مدى القصة السينمائية ، ويقدمون صورة الشاب المعارض لما ذهبت إليه الفتاة من خلال زميلها الطالب الملتحى الذى يبدو متزمتاً غبياً معادياً للرقص و « الفرفشة » وإن ظهر فى بعض الأحيان حريصاً على دروسه ومحاضراته .. ولكن الفتاة تنتصر فى النهاية بالرقص وتُطلّق العلم وسط الأفراح والليالى الملاح !!.

ومع الخلل الفكرى الواضح فى ثنايا القصة ، فإن الفيلم يؤكد على إحساس عام بأن العلاقة بين الأم الفنانة وابنتها ليست علاقة عادية ، وليست علاقة مقبولة اجتماعياً ، بل بدا الأمر فى النهاية ، أن التحدى الذى قامت به الفتاة الجامعية يمثل نوعاً من « حلاوة الروح » كما يقول العامة ، وهو نمط من الأعمال التى يقوم بها من يشرفون على الموت !! .

* * *

علاقة الغرباء !!

سُئِلَت إحدى الراقصات : هل تريدين لابنتيك أن تكونا مثلك ؟ فصرخت فيمن يحدثها : كلا .. لا أريد لهما أن يعيشا العذاب الذى عشته !!.

وسئلت ما الذى يحزنك فى حياتك ؟ فقالت : ابنتى التى بلغت عامين ، وتتركنى وتهرب إلى الخادمة حين ترانى وتناديها « ماما » ! لأننى لا أجلس معها كثيراً ولا أراها إلا نادراً ، فحين تكون نائمة أكون ساهرة لأمارس مهنتى ، وحين تستيقظ أكون نائمة !!.

وتقول ابنة فنانة تائبة هجرت الفن وعادت إلى الله : لم أشعر بالأمومة إلا يوم تابت أمى ، وجلست فى البيت ، افتقدتها أعواماً طويلة ، وكانت العلاقة بينى وبينها مثل علاقة الغرباء !!.

* * *

الطعم الحقيقى ..!!

ولم يكن غريباً أن تتحدث الفنانات التائبات عن طعم الأسرة الحقيقى بعد توبتهن ، وافتقادهن للحياة الأسرية الطبيعية فى أثناء ممارسة الفن .. فضلًا عن افتقادهن طعم الحياة ككل !!.

ولا أظن أن أسرة تقوم على عدم الإحساس بالغيرة من جانب الزوج أو الزوجة يمكن أن تكون أسرة طبيعية .. إن زوجاً لا يغار على زوجه حين يراها بين أحضان رجل آخر تمثل مشهداً داخل غرفة النوم ، أو زوجة ترى زوجها يمثل المشهد ذاته مع امرأة أخرى ، مع تكرار التمثيل بما فيه من سلوكيات يرفضها الواقع ولا تغار .. فإن آسرتهما الفنية أسرة غير طبيعية ، فضلًا عن كونها واهية الأركان والدعائم ، ولو كان يربطها أبناء وبنات ..!! .

* * *

أعــــوذ بالله ..

ولعل هذا هو الذى جعل بعض الممثلين الذين استيقظوا على مأساة المجتمع الفنى يختارون زوجاتهم من خارجه ، وجعل بعضهم يأوى إلى الظل حين يقاطع الحفلات الصاخبة واللقاءات التى لا تستقيم مع الغيرة والشرف ، بل إن بعضهم لا يجد حرجاً فى الإعلان عن رفضه لسلوكيات الوسط الفنى وأخلاقه .. وقد سئل أحد الممثلين المشهورين فى لقاء تلفزيونى ذات مرة .

ـ لماذا لم تتزوج من الوسط الفنى ؟.

فكان رده الفورى والتلقائى :

ـ أعوذ بالله ! ، وإن كان قد تدارك ذلك فيما بعد بأنه لا يقصد الإساءة إلى أحد !!.

* * *

الحيــــاء والغيــــرة ..

إن سقوط الحياء من المرأة ، وافتقاد الغيرة عند الرجل ، كفيلان بتحطيم الأسرة أو تحويلها إلى أسرة فاقدة الرشد والصواب والإنسانية ، وقد أخفق كثير من أهل الفن فى تكوين أسرة حقيقية لهذا السبب بالإضافة إلى افتقاد الأمن أو الإحساس بعدم الأمان ، مع ارتكاز حياتهم على البحث عن المادة : مالًا أو جاهاً أو شهرة أو نفوذاً .

ولن أستطرد أكثر من ذلك فى هذا المجال ، ولكن أود الإشارة إلى أن صورة الجانب السلوكى فى حياة الوسط الفنى تمثل حالة بشعة للأسرة المنهارة ، وفقدان الإحساس بالحياة الحقيقية أو الطبيعية مما يعنى أن كثيراً من أهل الفن قد خسروا أنفسهم وأبناءهم وكل شىء .. وأضاعوا حياتهم هباءً منثوراً فى شهرة زائفة ومجد مفقود !!.

* * *

من تاب وآمـــن ..!!

وإذا كنت قد ركزت على الجانب المشروع فى العلاقة بين أهل الفن ، فإن الجانب غير المشروع لا يصح أن نتناوله على صفحات الكتب والصحف ، لأنه ملىء بالعفن والإثم والإجرام ، وتتولاه عادة أجهزة القضاء والأمن ، ولا يغفره رب العباد إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ..

* * *

استباحة المقدسات

[سوف يهولنا ذلك الكم الهائل من التسطيح
والوعى الملوث والفكر الأحادى النظرة ،
والتصورات التى تقوم على التعصب ، واستباحة
التاريخ وحقائقه الساطعة ..]

كل شىء مباح ..!!

لم يعد خافياً على أحد من المتابعين للحركة الفنية على مستوى العالم ، أن هذه الحركة قد استباحت فى مسيرتها كل المقدسات والقيم والتقاليد التى تواضعت عليها الجماعات والأمم والعقائد ، وصار كل شىء مباحاً على شاشات السينما والتلفزة وخشبة المسرح ، وبدا أن معظم الأعمال الفنية المنتجة حديثاً تستبيح أن يتعرى الرجل والمرأة تماماً بوصف ذلك أمراً طبيعياً وتلقائيـا .. وأضحت القاعدة فى معظم ما يقدم منها أن يكون العنف والتدمير والجنس والشرب عناصر أساسية فى البناء الفنى أو التركيبى للعمل الدرامى فيلماً أو مسلسلًا أو مسرحية أو أغنية .. وتفسير ذلك قد يتشعب إلى أمور عديدة ، ظاهرة أو خفية .. أقربها إلى الذهن والعقل وصول المدنية الغربية (بما فيها اليابان) إلى درجة من الرفاهية بلغت حداً من التشبع الذى أورث الملل والخواء فى المجتمعات الغربية ، وبخاصة بعد أن اختزل الدين عندهم إلى مجرد وثيقة زواج ، أو حالة تظهر عند مراسم دفن الموتى !!.

عندئذ صار تحطيم المقدسات والقيم والتقاليد تعبيراً عن عدم الإشباع الروحى والعقدى ، وأصبح التمرد على الواقع علامة على إخفاق المدنية المعاصرة فى توفير الاطمئنان والسكينة للإنسان الغربى (والإنسان التابع له) ، مما يعنى افتقاده الهدف والغاية فى الحياة .. وتلك أخطر الحالات التى يصل إليها الإنسان حيث يجد كل شىء حوله نوعاً من العبث واللهو الذى لا طعم له ولا لون ولا رائحة .

* * *

تفسيران آخـــران...

التفسير الآخر .. وهو قريب إلى الذهن والعقل أيضاً ، ما تفرضه شهوة جمع المال من وراء كل عمل تجارى ، فالتجار فى هذا المجال (وهم المنتجون) يبحثون عن السبل المتاحة والوسائل الممكنة التى تمكنهم من جمع أكبر قدر من المال ، ولا يتم ذلك إلا باستباحة الجسد وتعريته ، واللعب بخيال الناس ـ وبخاصة الشباب ـ من خلال مشاهد العنف والدم والجريمة والمطاردات التى لا وجود لها إلا فى خيال المؤلفين والمخرجين .

هناك تفسير ثالث ، وهو مما لايشك فيه أحد ، لأنه مفهوم من خلال الأعمال التى تعرض على الجمهور ، ويعتمد على الترويج لأفكار وقيم تستهدف مجتمعات العالم الثالث (ومعظمه من المسلمين) من أجل تركيعه للمدنية الغربية وقبوله بها ، ونبذ ما يؤمن به من معتقدات وتصورات ومواريث فكرية وحضارية (لأنه لم يكتسب جديداً بعد !!) .

ثم هنالك التفسير « التلمودى » الذى ينتسب إلى « التلمود » اليهودى ، ويعنى تحقيق الغايات اليهودية فى إفساد الناس والمجتمعات الإنسانية وفقاً لمنهج التلمود و « برتوكولات حكماء صهيون » ، ويجيز هذا المنهج استخدام كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة (ومنها الجنس خاصة) فى مخاطبة الجمهور على الشاشات الفضية وخشبة المسرح ، وبعيداً عن مجال الفن أيضاً !! .

* * *

عـــارية تمـــاماً ..!!

وتبدو هذه التفسيرات صحيحة إلى حد كبير ، إن لم تكن صحيحة تماماً ، ولكن ما يعنينا هو ما يجرى على أرضنا وبأيدى أبنائنا .. فالذى يأتى من خارج الحدود يجد مقاومة تلقائية ، لأننا نتلقاه وفى أعماقنا إحساس بأنه غريب ، ونشاهده وفى أغوارنا شعور بأنه وافد ، فيتكون فى معظم الأحوال نوع من الحذر والتوجس والريب .. أما ما يحدث بوساطة أبنائنا فعادة ما يكون بعيداً عن الشك ، وهذا ما يجعله أشد خطورة ، ويجعله أكبر ضرراً .

لوحظ مثلًا أن بعض العاملين فى مجال السينما العربية من شمال إفريقية قد وجدوا فى أنفسهم الجرأة ليقلدوا السينما العالمية تقليداً أعمى فى مجال إظهار المرأة عارية تماماً كما ولدتها أمها ، بحجة الواقعية فى التعبير عن المجتمع ومشكلاته ، ثم تمادى البعض الآخر فى المشرق العربى ـ لبنان خاصة ـ حين صوروا أفلاماً تتم فيها العملية الجنسية علناً بين رجل وامرأة ، تحت شعار حرية التعبير ، وفى كل الأحوال فإن العاملين فى السينما العربية لم يكن

لهم شرف العاملين فى السينما العالمية الذين وظفوا إنتاجهم السينمائى بطريقة ما للتعبير عن أفكارهم وأحلامهم فى السيطرة على العالم الثالث ونهبه واستعباد أهله وناسه وتسخيرهم لخدمة السيد « الصليبى » والخضوع لإرادته تماماً ..! .

* * *

لا نقلُّ عنكم تحــرراً..!!

إن موجة الانحلال والشذوذ التى صدرتها السينما العالمية معبأة بقيم خطيرة وشريرة تجاه شعوبنا وأمتنا ، ولكن القوم عندنا لم ينظروا إلا للجانب الجنسى فحسب ، بوصفه المجال الذى يستطيعون من خلاله أن يقولوا للآخرين ممن يقتدون بهم فى السينما العالمية : نحن لا نقل عنكم تحرراً وتقدماً ، وفى الوقت ذاته يحققون الكسب الحرام والشهرة الجوفاء أو الحمقاء .

* * *

قليلة جــــداً ..

والسؤال الآن : أين قضايا الأمة وهمومها فى عالم الفن ، وبخاصة مجال الدراما ؟ وبمعنى آخر ، كيف يتناول أهل الفن الواقع اليومى لأمتنا فى شتى جوانبه وأبعاده ؟. وهل يحقق هذا التناول مزدوداً إيجابياً أم يكرس السلبية والمزيد منها ، فى نواحى المجتمع المختلفة ؟.

من الإنصاف أن نقول : إن بعض الأعمال ــ على الرغم من تحفظات كثيرة ــ قد حملت بعض الهموم والآمال ، ولكنها قليلة جداً ، بل تكاد تكون نادرة ، لأن أصحابها شذوا عن التيار السائد الذى يحكم معظم الأعمال المعروضة على الناس ، وهو ــ كما يعرف الناس فى بلادنا ــ يتسم بالهبوط والإسفاف ، فضلاً عن سطحيته وابتذاله وبعده عن الهموم الحقيقية والآمال المشروعة .. إن معظم المعالجات الفنية تدور فى إطار قضايا تافهة أو مكررة ، ولا تعنى قطاعات المجتمع العريضة ، بل القضية الخطيرة التى

ألحوا عليها مؤخراً ، وهى قضية إدمان المخدرات التى تهدد شباب الأمة ، قد عالجوها بطريقة تجارية فى الغالب ، أفسدت أكثر مما أصلحت ، وقدمت بعض المدمنين بصورة عكسية ، بدا فيها المدمنون أكثر نضجاً وتفوقاً ورجولة وتحرراً !! فضلًا عن عرض طرق الإدمان ومراكز ترويج المخدرات ، مما كان له الأثر البالغ فى دفع مجموعات كبيرة إلى مجال الإدمان .. وقد أثبتت إحدى الدراسات العلمية التى أجريت مؤخراً بجامعة الزقازيق أن ١٩٪ من المدمنين ، قد أصيبوا بالإدمان نتيجة لمشاهدة أفلام السينما التى تعالج قضية المخدرات !.

* * *

يتقمّمـــون ..!!

إن قضايا الشعوب العربية والإسلامية ـ وما أكثرها ـ لا وجود لها على خارطة الذهن الفنى ـ إن صح التعبير ـ بينما يتقمم أهل الفن أفكاراً رخيصة ، وحوادث تافهة لا ترفع ـ معالجتها فنياً ـ من قيمة الإنسان العربى المسلم ، ولا تسمو به إلى آفاق من المثل العالمية والأخلاق الرفيعة .. إنهم ـ نادراً ـ ما يلجأون إلى رواية أو قصة أدبية ذات قيمة فنية عالية أو مضمون فكرى جيد .. وقد وجد بعضهم فى نفسه الجرأة ليعلن على صفحات بعض المجلات أنه يلجأ إلى صفحة الحوادث فى الصحف السيارة ، ليستقى منها مادة أفلامه ومسلسلاته ومسرحياته ، ولنا أن نتصور بعدئذ مضمون هذه المادة ودلالتها .. ولنا أن نتخيل بعدئذ كيف نربى أجيالنا ، ونبنى شبابنا ونصنع حضارتنا من خلال صفحة الحوادث ؟!.

ولم يكن عجيباً فى سياق امتهان العقل العربى والوجدان الإسلامى أن يتسابق أهل الفن لمتابعة حادثة شهيرة وقعت فى أحياء الجيزة قبل فترة ، وقام فيها أحد الشبان بقتل أسرة مع خادمتها .. بينما قصص الكفاح والجهاد والشرف التى يقوم بها خيرة شبابنا فى مجال الإنتاج والاختراع ، والعلم والابتكار ، لا تلقى من هؤلاء القوم أى اهتمام أو عناية !.

* * *

رحمــة بالشباب !!

وأرانى هنا مضطراً إلى نقل بعض ما كتبه « زكريا نيل » وهو يعلق على جريمة الجيزة هذه وتهافت أهل الفن على تقديمها فى السينما حيث يتساءل فى البداية : « هل لم يبق أمامنا من قصص الحياة الصالحة للسينما غير قصة ذلك المجرم الأثيم الذى روَّع المجتمع ..؟ » ثم يضيف إلى تساؤله تعجبه من موقف الصحافة واهتمامها بسلوك بعض السينمائيين تجاه الحادث ، فيقول : « من عجب أن تبرز بعض صحفنا كيف ذهب نجوم السينما لحضور التحقيق ، ومخالطة المجرم لحظة بلحظة ، ليستطيعوا تقمص شخصيته بكل أبعادها الإجرامية والمرضية والنفسية فى فيلم يخرجونه للناس ! » .

ويعود الكاتب إلى التساؤل مرة أخرى ليبرز الجريمة التى يرتكبها أهل الفن فى حق الشباب حين يقدمون له نموذج الشاب القاتل ليقلده ، ثم يضيفون إلى ذلك إمكانية هروبه من العقاب . يتساءل الكاتب قائلاً :

« هل نريد أن نعلم الشباب كيف يرتكبون الجرائم الأكبر بشاعة ، وكيف يتغلبون على الظروف والمفاجآت التى قد تمكنهم من الإفلات من يد العدالة والعقاب ؟ » .

ويضيف الكاتب :

« صدقونى إن مجتمعنا أصبح منكوباً للأسف ببعض أبنائه الذين تبهرهم ضراوة الجرائم فيدخلون منها إلى النجومية ، عن طريق نشر الشرور ، ووضع الأشرار فى صورة الأبطال ، ومن حيث يظنون أنهم بتجسيد قصص هؤلاء الإرهابيين على شاشة السينما ، يقدمون العبرة والموعظة للآخرين ..! .

هذا هو الإثم الكبير ، فموجات الإجرام والفساد والانحراف التى أخذت فى الانتشار بين الشباب فى أى مجتمع من المجتمعات ، كثيراً ما كان وراءها التقليد لهؤلاء وتقمص شخصياتهم التى يتأثرون بها على شاشات السينما والتليفزيون !. »

ويختتم الكاتب مقاله بنداء يوجهه إلى أهل الفن والمسئولين محذراً من العواقب الخطيرة التى تنتظر شبابنا .

« أيها السينمائيون والرقباء ارفعوا أيديكم عن شباب مصر ، وإلا فإنكم جميعاً فى منظور النتائج الخطيرة التى تفرزها مثل هذه الأقلام ، ستكونون خارجين على القانون ، وتستحقون نفس جزاء المنحرفين ! » .

[الأهرام ١٩٩١/٥/٢٧]

* * *

الكمّ الهـــائل ..!!

لقد آثرت أن أنقل معظم ما كتبه الكاتب لأسجل شهادة رجل لا يمت إلى علماء الدين بصلة ، ولا ينتمى إلى الجماعات الإسلامية بنسب ، ولكنه كاتب من الذين يعيشون واقعهم فى إطار علمانى بعيد عن الوعظ الدينى والإرشاد الإسلامي ، ليرى من يعنيهم الأمر أن أهل الفن يرتكبون أبشع الجرائم فى حق الأمة باسم « الفن !! » .

إننا إذا نظرنا إلى بعض القضايا المطروحة وطريقة أو طرق معالجتها الأعمال الفنية ، وبخاصة فى السينما ، فسوف يهولنا ذلك الكم الهائل من التسطيح والوعى الملوث والفكر الأحادى النظرة ، والتصورات التى تقوم على التعصب ، واستباحة التاريخ وحقائقه الواضحة .

فإذا ما تطرق أهل الفن إلى معالجة قضايانا السياسية والعقدية والوطنية درامياً ، فإنهم للأسف الشديد يدورون فى دائرة التعصب الفكرى والمذهبى والعنصرى .. وإذا عرفنا أن العقول التى تخطط لتنفيذ هذه الأعمال هى فى الغالب من أهل اليسار والعلمانيين ، أدركنا ما يمكن أن تكون عليه صورة الإنسان المسلم فى واقعها وجهادها وتطلعاتها .. وعرفنا أيضاً كيف يصورون اليسارى المنفلت والعلمانى البارد .. الإنسان المسلم لدى أهل الفن صورة بشعة للتزمت والتعقيد والتخلف والازدواجية الفكرية بين ما يؤمن به ، وما يعلنه وبين ما يطبقه ويخفيه . أما غيره فهو المكافح المناضل الذى يحرص على المبادىء ولا يخون ولا يتناقض مع نفسه ، وبالطبع فإن القوم لا يرون فى ممارساته أو سلوكياته (وبخاصة فى مجال الجنس) ما يشين ، بل يرون ما يفعله دليلا على التحرر والانطلاق

والتقدمية والطليعية .. بل يرون أن من تمام الاتساق الفكرى والتطبيقى أن يخون اليسارى أصدقاءه مع زوجاتهم ، وأن يتسامح مع زوجته إذا خانته مع أصدقائه اليساريين [هكذا يفعلون دراميا وإن كان الواقع يختلف إلى حد ما] ، والمهم فى كل الأحوال ـ لدى أهل الفن ـ أن تبقى صورة اليسارى المناضل الذى يقاوم السلطة ويعانى السجن والتعذيب والاعتقال والملاحقة ، قائمة فى الأذهان ، أما ما عدا ذلك فتعد مسائل شخصية ينبغى ألا يتوقف أمامها أحد بالتساؤل أو الاستفسار ، لأنها فى عرف القوم ترجع أو تعود إلى الإرادة الشخصية والرغبة الذاتية !! .

* * *

حتى الصـــور الجهادية ..!!

أما الإنسان المسلم الذى يواجه القهر والجوع والموت ، ويجاهد فى سبيل ذلك جهاداً فريداً من نوعه ، فلا يجد له صدى لدى أهل الفن فى بلادنا .. إن قضية فلسطين أو مأساة الأكراد أو جهاد الأفغان أو مشكلات لبنان وكشمير والسودان وغيرها .. لا تجد لها صدى فى الأعمال الفنية عندنا ، حتى الصور الجهادية العظيمة التى قام بها جنودنا فى حرب رمضان ضد العدوان اليهودى لم تحظ منهم بالتفات كبير ، فقد عالجوا بعضاً منها فى أعمال قليلة باهتة وخبيثة لا ترق إلى مستوى الحدث الجليل .. والمفارقة أن أهل الفن فى الغرب ما زالوا حتى اليوم ، ومنذ ما يقارب من نصف قرن يلحون على تصوير انتصاراتهم فى الحرب العالمية الثانية ، وأهل الفن من اليهود يلحون على تصوير ما جرى على يد « هتلر » وتزييفه واستغلاله دعائياً لتحقيق أهداف آنية ومستقبلية !.

* * *

تكريس الطائفية ..!!

ويدخل فى هذه المفارقة أيضاً ما يقوم به المارون فى لبنان ، حيث أخذوا زمام المبادرة ، وصنعوا أفلاماً ـ بمساعدة فرنسية ـ تعتمد على تحقير

الإسلام والمسلمين وتشويه صورتهم ، مع تكريس الطائفية الصليبية الشرسة والظالمة ، وما حديث « الرجل المحجب » ببعيد !!.

وقد تناولت الصحف بالتعليق فيلماً مارونياً آخر عرض فى مهرجان « كان » بفرنسا بدعاية كبيرة فى الغرب اسمه « خارج الحياة » وقد أخرجه اللبنانى « مارون بغدادى » بإنتاج فرنسى ليعالج الحرب الأهلية اللبنانية التى ظلت مشتعلة طوال خمسة عشر عاماً . وتقوم قصة الفيلم على رصد ما جرى لصحفى فرنسى ذهب إلى بيروت ليغطى الحرب ، فيحكى ما جرى لواحد من الرهائن الأجانب ، ويصور العرب المسلمين بأنهم وحوش مفترسة لا تنتمى إلى الآدمية ، بينما الرهينة التى يؤدى دورها الممثل الفرنسى (إيبوليت جيراردو) تبدو على العكس من ذلك فهو فى غاية الإنسانية والرقة والطيبة أمام القسوة الضارية التى لا تعرف الشفقة أو الرحمة . إن الرهينة لا يعرف سبباً للقبض عليه والتعامل معه بوصفه رهينة . ويتمادى المخرج العربى اللبنانى « مارون بغدادى » فى الإساءة إلى العرب والمسلمين من خلال إساءته إلى « الشيعة » وإظهار تمثال لآية الله الخومينى ، تتم تحته الجرائم والمفاسد العربية الإسلامية ! [بالطبع المشاهد لا يفرق بين السنى والشيعى ، فالجميع لديه كلهم مسلمون] .

[راجع أخبار اليوم ١٩٩١/٥/٢٥] .

قيل إن الفيلم أنتج كى يعرض فى أوربة وليس فى الدول العربية !. ما معنى ذلك ؟ وهل يعفى ذلك من شاركوا فى تنفيذه من التآمر على العقل العربى والوجدان العربى والتاريخ العربى .. وقبل ذلك الإنسان المسلم ؟ .

ثم ما معنى أن يظفر الفيلم فى النهاية بجائزة مشتركة مع فيلم آخر ؟ هل هى مكافأة له على تصويره الظالم لبشاعة المسلمين المزعومة ؟ أم تعبير عن ولاء مخرجه ومعاونيه لفرنسا وتنكره للعرب والوطن الذى أغدق عليه ؟ .

على كل المسألة لا تحتاج إلى اجتهاد أو تفسير لأنها واضحة بذاتها ..!! .

* * *

التوحيـــد والمجـــوس ..!!

حتى على المستوى التاريخي المحض ، فإن التزوير كان السمة الأساسيـة فى تصوير المسلمين على غير الحقيقة ، فقد جاءوا فى صورة جهمة وباردة وقاسية . وسوف أكتفى هنا بالإشارة إلى مثالين ، أولهما الفيلم المزيف الذى كانت العراق وراء تمويله ، ويتناول حرب القادسية التى خاضها المسلمون ضد الفرس وانتصر فيها الإسلام على المجوسية ، فقد تحولت القضية فى الفيلم من صراع بين التوحيد والوثنية إلى صراع بين قوميتين إحداهما عربية والثانية فارسية ، وتناسى من أعدوا الفيلم المزور أن واحداً من أبرز قادة الجيش الإسلامى كان فارسياً ، واسمه « سلمان الفارسى » رضى الله عنه ، وأن عدداً آخر من قادة الجيش الإسلامى كانوا ينتمون إلى جنسيات أخرى غير عربية ، وأن التاريخ لم يقل أبداً إن المسألة كانت صراعاً بين عرب وفرس ، فقد كان الصراع بين من يحملون كلمـة « لا إلـه إلا الله » بعيداً عن القوميات والعنصريات والشعوبيات ، ومن يكرسون عبادة الطواغيت والمستبدين والأصنام .

* * *

التقـــى الـــورع ..!!

وثانى المثالين هو الفيلم الذى أعده أحد اللبنانيين حول « صلاح الدين الأيوبى » البطل المسلم الفذ الذى أنقذ « القدس » وحررها من قبضة الصليبيين بعد أعوام طوال قضتها فى الأسر والذل .. هذا البطل العظيم ، التقى الورع ، يتحول فى الفيلم المذكور إلى « بهلوان » يحمل خصائص « جيمس بوند » و « أرسين لوبين » معاً ولا أثر فى الرواية للحقيقة التاريخية وأبعادها الدينية والإنسانية والحضارية !! .

لقد صار « صلاح الدين » مغامراً ظريفاً يتخفى فى صور شتى [بائع جوال ، طبيب فارس مجهول ...] ثم يمارس الحب مع غانية صليبية (!) تعلن إسلامها فى نهاية الفيلم !.

وهكذا يتم تشويه صورة من نعتز بهم من أبطال أمتنا الظافرين لحساب

الشيطان الذى لا نعرفه .. هل هو شيطان المال .. أم شيطان التخريب .. أم شيطان التغريب .. أم شيطان الجهل .. أم كل هؤلاء الشياطين ؟ .. والله أعلم ..

* * *

نوع من الصفـــاقة ..!!

المهم أن أهل الفن يزورون تاريخنا ويزيفون واقعنا .. أما مستقبلنا فلا وجود له فى فنونهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

والغريب أننا نواجه بنوع من الصفاقة التى ترتدى ثوب العلم والمنهجية ، فنجد من يقول لنا : لابد من الفصل بين العمل الفنى ورؤية صاحبه الفكرية والعقدية ، ويعلنون فى السياق ذاته عن « موت المؤلف » و « موت المجتمع » !!.

وهذا كلام زائف ومضلل وخاطىء ، فما من عمل فنى ، فردياً كان أو جماعياً ، إلا ويصدر عن تصور يحكم صاحبه شاء أم أبى ، وعن مجتمع يؤثر فى المؤلف بالسلب أو الإيجاب ، حتى لو كان هذا العمل يندرج تحت عنوان : « العبث » أو « اللامعقول » ، فالعبث هنا مقصود لذاته ، وهو غاية يسعى إليها المؤلف سواء أعلن عنها أو لم يعلن .. كذلك « اللامعقول » ، فإنه يمثل فلسفة يهدف من ورائها إلى هدف ظاهر أو خفى .

المؤلف لا يموت ، لأن عمله شاهد عليه ومفسر لأفكاره ، ودليل على تصوراته ، ولا مجال للذين يفصلون بين العمل الفنى وصاحبه ، بحجة أن انفصال العمل عن مؤلفه بعد صياغته أو تنفيذه وإخراجه للناس ضرورة جمالية ، ولأنه يترتب على عدم الفصل والاهتمام بالمؤلف أو المجتمع ، إفساد العمل الفنى والاستمتاع به .. إن هؤلاء القوم لا ينسجمون فى زعمهم مع طبيعة الأمور وواقعية التفكير ومنطقية التعامل مع الأشياء .. وبخاصة إذا كانت المسألة تتعلق بالفنون الدرامية من سينما ومسرح وإذاعة وتلفزة وغيرها ، فهذه الأعمال الفنية لا تنفصل بحال عن مؤلفها أو عن المجتمع ، لأنها تحمل فى الأساس هدفاً أو غاية تربوية أو اجتماعية أو سياسية .. وعلى

أبسط الفروض إن لم تحمل مثل هذا الهدف أو تلك الغاية ، فإنها تهدف إلى غاية فنية جمالية يستمتع بها جمهور المتلقين فترقى أذواقهم وترق مشاعرهم .. وأتصور أن العمل الفنى الذى لا ينطوى على مثل تلك الغاية الأولية ، هو عمل زائد عن الحاجة ، بل تعبير عن عجز المؤلف ، وفى غالب الأحيان فإن الغاية التى تكون من وراء هذا العمل الهش غاية غير طيبة ، والمسئول الأول والأخير عن التردى الفنى عندئذ هو المؤلف والمشاركون معه فى التنفيذ الدرامى ، وبخاصة المخرج .. ومن هنا يتبدى لنا ما يزعمه البعض عن موت المؤلف والمجتمع ، إنه يمثل حلقة من حلقات الاستلاب التى تستهدف أخلاق الأمة وهويتها وعقيدتها ، وكل ما يجعلها أمة متميزة ذات خصائص تعرف بها بين أمم الأرض .

* * *

ولو كانت تسجيلية ..!!

وعلى كل ، فإن الغايات المضمونية للأعمال الدرامية أوضح من أن تنكر ، لأن الدراما بصفة عامة تحمل من الأفكار والتصورات ما ينبىء عن غايات الفريق الذى يعدها وينفذها (المؤلف والمخرج والمصور ...) ولا يستطيع أحد أن ينفى هذه الغايات عن أية مادة درامية ، ولو كانت تسجيلية ، فالفيلم التسجيلى فى حد ذاته ينبىء عن غاية من وراء تنفيذه ، وتبدأ تلك الغاية تتضح منذ العنوان حتى اللقطات التى تختار بعناية .. ولعل أوضح الأمثلة على ذلك ما يقوم به بعض المخرجين العرب المرتبطين بالثقافة « الفرانكوفونية » ، وقد قام أحدهم مؤخراً ، بتقديم أحد الأفلام التسجيلية عن مدينة القاهرة ، فإذا به يقوم بعملية تلويث فكرية وتاريخية وحضارية عن عمد وسابق إصرار ليرضى أهل الثقافة التى يرتبط بها ، وأمام الانتقاد الواسع النطاق لهذا العمل الملوث ، فقد انبرى رفاقه فى التوجه إلى رفع راية حرية الفكر .. ثم يزعم بعضهم أن الفيلم الملوث قصيدة حب للقاهرة وأغنية عشق للوطن ، وجرس تحذير ، وإنذار للقلب الأوربى المتبلد من النهاية المحتمة لما يفعله الخواجات ، بالوطن وبنا ..!! .

وهذا كلام غث ، وهراء ، وكذب فاضح ، لأن صاحب الفيلم من فصيل آخر ولا يؤمن إلا بالحضارة الأوربية التى أنتجها « القلب الأوربى المتبلد » !! فكيف يكون التحذير ، ويكون الإنذار ؟.

إننا نأسف لأن البعض يصر على أن يكون الفكر مجالًا للتعصب وفرد العضلات والتشويش والتشهير بالآخرين !.

ويا ضيعة الفكر .. أمام من يرفعون راية « حرية الفكر » ولا يحترمون ما ترمز إليه وما تعنيه ، ويستبيحون المقدسات والقيم والتقاليد دون أن يهتز لهم قلب أو يختلج لديهم شعور !!.

* * *

الغناء .. والتلوث

[وإذا كان تجار الفن قد اتخذوا من الغناء وسيلة غير مشروعة لمزيد من الكسب الحرام . فإن تجاراً آخرين من نوع آخر ، قد اتخذوا الغناء وسيلة لتحقيق أهدافهم وغاياتهم ...]

تصفع الوجـــوه ..

• قضية الغناء والطرب فى واقعنا الراهن ــ ومنذ ثلاثين عاماً على الأقل ــ تشكل ملمحاً بارزاً من ملامح المحنة التى تعيشها الأمة ، وتتجاوز ما هو حلال وحرام إلى ما يشبه الجريمة المنظمة التى ترتكب بحق الشعوب والأوطان .

وآية ذلك موجودة فى الأعراض والنتائج التي تتبدى لمن يدرس حالة الغناء على مدى العقود الثلاثة التى أشرنا إليها ، تصفع الوجوه بقسوتها وضراوتها ، لأنها تخطت المعقول الذى تمكن معالجته إلى « اللا معقول » الذى أحدث خللًا بالغاً فى وجدان الأمة وتصوراتها ، وجعل من كلمة « الغناء » ــ فى حد ذاتها ــ سيئة السمعة لأنها صارت مرادفاً لمنهج وسلوك وتعبير يتصادم مع طموح الأمة وآمالها !!.

* * *

المكان والزمـــان ..

الغناء فى المفهوم العربى القديم كان وسيلة من وسائل التغلب على الحياة البدوية القاسية ، حيث كان العربى قديماً يقطع الصحراء راكباً أو راجلًا فيستعين على مشقة الرحلة ووعثاء الطريق بالغناء أى إنشاد الشعر ، فيناغى الشعر وتراً حساساً فى وجدانه ومشاعره ، ويلمس عرقاً نابضاً فى قلبه وفؤاده .

كان الإنشاد أو الغناء حالة فردية وجدانية راقية صنعتها الظروف النفسية والجغرافية التى عاشها العربى القديم ، حيث تحول المكان والزمان إلى عنصرين رئيسيين فى حياته : المكان يتغير ويتبدل بحكم الجغرافية أو البيئة الصحراوية ، وصار « الرحيل » علامة فارقة فى الواقع اليومى والإنسانى بالنسبة له .. من هنا كثر الحديث عن الأطلال والمنازل والديار والذكريات .. وصار افتتاح المعلقات بذكر المنازل والأحبة تقليداً فنياً لا يكاد يتركه شاعر قديم بدءاً من امرىء القيس الذى طلب من صاحبيه أن يتوقفا للبكاء معه .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

إلى عبيد بن الأبرص الذى بدا وكأنه يرثى الديار وينعاها :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

أما الزمان : فقد ارتبط بالمكان والحياة معاً ، فهو ذكرى العمر الجميل والأيام النضرة والأحاسيس المغردة ، والامتلاء إلى درجة الخوف من الظمأ أو الجوع الروحى - إذا صح التعبير - وهو بعد ذلك الإحساس بالانتماء إلى المكان وساكنيه ، والأنس بهم والفهم ، وكأن جهامة المكان أو الجغرافية وسيلة دافعة إلى الالتصاق بالآخرين والحنين إليهم والإكثار من ذكرهم والحديث عنهم وعن أحوالهم .. ترى هل يكون ذلك هو الذى يجعل الوداع قريناً للفراق الأبدى الذى يخفت فيه صوت الأمل باللقاء ؟ تأمل ما يقوله أحدهم :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

ثم قارنه بما يقوله الآخر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

الوداع والتمتع فى البيتين قرينان أو رديفان يمثلان مدى إلحاح عنصر المكان . وامتزاجه بعنصر الزمان (الارتحال - ما بعد العشية) ، وهو ما يكشف عن تلقائية الإنشاء لدى العربى القديم ، وانبعاثه عن حاجة وجدانية عاطفية ، جعلت منه « فن العربية الأول » ، وجعلته « غناء » خالصاً حتى مطالع القرن العشرين ، حيث حاولت « الملحمة » أن تجاوره ، وأن تصبح جزءاً من نسيجه ، ولكنه فى معظم الأحوال كان غناءً راقياً ومشروعاً ، وكان تعبيراً فطرياً هادفاً ، وصوتاً يرطب حرارة الوجدان ، ويفتح الباب أمام تحقيق الآمال .

* * *

الغناء التلقائى ..

ولا ريب أن ارتباط الشعر العربى بالمكان والزمان ، قد جعل الغناء أو الإنشاد لدى العربى أمراً تلقائياً وعادة مقبولة ، لأنه غناء ذاتى يخرج فيه القلب من إسار العناء والألم والمشقة إلى عالم جمالى عذب تصنعه الكلمات ،

فيرتجز المنشد حادياً القافلة ، ويصبح الإنشاد أو الغناء هنا والذى يحمل عادة معانى الصبر والشوق ، وسيلة من الوسائل التى تنسحب على الجماعة وهى تبنى المنازل ، وهي تزرع الأرض ، وهى تحصد الثمار ، وهى تشد المراكب أو القوارب فى الأنهار ـ كما نرى فى بعض الدول العربية وبخاصة مصر ـ فالغناء أو الإنشاد هنا حالة من الفرح أو الأمل الجماعى الذى تعبر عنه الدول العربية وبخاصة خلال الأناشيد أو الأراجيز ذات المعانى الراقية والقيم العليا ، أضف إلى ذلك الأغانى الشعبية فى الميلاد [السبوع] والحج ، والزفاف والتى يهزج بها كل جنس لجنسه .

ولا بأس أن نشير هنا إلى نوع آخر من أنواع الغناء الشعبى التلقائى والطبيعى الذى ينبعث من الموقف والحالة التى يكون عليها المغنى ـ أقصد هنا غناء الصيادين وهم يخوضون عباب البحر ويقاومون أمواجه الهادرة ، وكلها أغان جماعية تتحدث عن الرزق والصبر على الأخطار والمشاق .. ومثل ذلك ما يفعله الصيادون البسطاء على صفحة النيل فى جوف الليل ، حيث تبدو الوحدة والسكون وطول الوقت عوامل تفجر الغناء المعروف بـ « المواويل » التى تغلفها نغمة الحزن والأسى ، وكأن الصياد المغنى يجد نوعاً من التماثل والتشابه بين حالته العامة البائسة ، وبين موقفه على صفحة النهر مجهداً مكدوداً ، ساهراً والناس نائمون ، يقظاً والآخرون مستريحون ، ومن هنا كانت مواويله التى لا يعرف مصدرها غالباً ، تعبيراً عن حاله ، صبراً على البلاء ، ورضاً بالقدر .

* * *

الغنـــاء الخـــارج ..!!

هذا الغناء وأشباهه كان أو ما زال تراثاً شعبياً حميماً ، يلتصق بالإنسان العربى فى شتى البقاع ، يتلون باللون الذى تفرضه البيئة الجغرافية والاجتماعية ، وكان فى الغالب مقبولاً ، لأنه بعيد عن المحاذير الشرعية والخلقية ، وكان مرتبطاً بالحاجة أو الضرورة النفسية والزمنية .. ولكن الغناء بمعناه الآخر [اللهو أو التمرد على المعايير الخلقية والالتزامات الدينية] ، كان موضع الاستنكار على مدى الأعصر والأزمان ، وكان

مرفوضاً من قاعدة المجتمع ، بوصفه خروجاً على القيم والتقاليد ، وكثيراً ما جوبه المغنون (الخارجون) بموقف اجتماعى حاد ، يرفضهم ، ويصنفهم فى خانة المواطنين غير الأسنوياء !! بل إن التسميات التى أطلقت عليهم كانت تعبيراً عن ذلك الموقف الاجتماعى الحاد .

كان الغناء (الخارج) فى الماضى محصوراً داخل بعض الطبقات وبعض الأماكن ، أما فى العصر الحديث وبعد اختراع أجهزة التسجيل والاتصال ، فقد صار له شأن آخر ، ومن خلاله استطاعت بعض القوى أن تمتطيه لتحقيق غايات اجتماعية وسياسية ــ ودينية أيضاً ــ كيف ذلك ؟ .

لاشك أن اختراع الأسطوانة ثم أشرطة التسجيل الصوتى ، ثم أشرطة التسجيل الصوتى والبصرى (الفيديو) ، كان وراء انتشار الأغانى إلى كل صقع وكل مكان .. ثم كان ــ وما زال ــ للإذاعة والتلفزة الدور الأكبر فى نقل الأغنيات مسجلة أو على الهواء مباشرة إلى ملايين الناس فى كل مكان ، فلم يعد الغناء مقصوراً على أفراد قلائل أو محصوراً فى أماكن محددة .. لقد جاء استخدام التكنولوجيا ليجعل من الغناء ــ كما جعل من التمثيل ــ حالة أو ظاهرة واسعة الانتشار ، وليدخلها فى سياق المهن التى تدر أرباحاً هائلة ودخولاً كبيرة لمن يحترفون الغناء ، ومن يعيشون على الترويج له وتسويقه ، فضلاً عمن يؤلفون الأغانى ويلحنونها ويعزفون لها .

* * *

تلويث الوجدان

ثم تغيرت الأحوال ، وجاء زمان ــ فى العقدين الأخيرين ــ ليقوم الغناء بأبشع عملية تلويث للوجدان والقلب ، وليقوم قوم ممن لم تهذبهم ثقافة ، ولم يهدهم دين ، ولم يرشدهم خلق إلى تسويق كلمات هابطة وساقطة ، وألحان نشاز وغريبة ، وأداء فيه من الخلاعة والرقص والتعبير الجنسى ، ما يجعل الغناء يدخل تحت عنوان « الجريمة » المنظمة التى تفتك بالشعب ، أو الوطن وتؤذى أغلى أبنائه وهم الشباب .

ولا أنسى يوم أن صاحبت ضيفاً رحلة قام بها « شباب جامعى » إلى

إحدى المدن ، وسمعت يومها من الأغانى ما أذهلنى ، وبرغم الألم الممض ، فقد آثرت أن أصبر على اكتشاف « الجريمة المنظمة » التى دبرت لالتهام وجدان الشباب وتخريبه ، ورحت أتساءل بينى وبين نفسى : من الذى يرتكب « الجريمة » ، ويجعل من شباب يتراوح عمره بين الثامنة عشرة والثانية والعشرين ، يستمع إلى كلمات هابطة ، وموسيقى صاخبة ، وأداء مخنث رخيص ؟ .

لقد سألت الشباب أنفسهم أسئلة كثيرة . وأجابونى بصراحة بالغة ، وكانت الإجابات دليلًا على خلل خطير واضطراب عظيم ينذر بالشرر الذى يتطاير ليحرق المجتمع ، أو يحترق أجمل ما فيه ، مما يستدعى أن يكون أسلوب التربية لأبنائنا وبناتنا ، مختلفاً عما هو سائد وقائم ، وإلا فسوف تكون النتائج بالغة السوء والقتامة ، ليس على الشباب وحدهم ، ولكن على المجتمع ، بل والأمة كلها !! .

* * *

الفصحى غـــريبة !!..

مهما يكن من أمر ، فإن واقع الغناء فى أيامنا يخبرنا بإيجاز أنه صار سبيلًا للهو ، وحرفة لجمع الأموال ، ووسيلة لابتزاز غرائز المراهقين والشباب ، والأخطر من ذلك صار طريقاً لخلع الهوية العربية الإسلامية وارتداء ملابس المدنية الغربية بكل سلبياتها وقصورها بل وشذوذها !!.

وتفسير ذلك لا يحتاج إلى كثير عناء .. وبداية فإن معظم الأغانى التى تهدر بها الإذاعات والتلفزة فى العالم العربى تؤدى بلهجات محلية وعامية ، وخطورة هذا الجانب تكمن فى تكريس الإقليمية والعنصرية بين الشعوب العربية ، فضلًا عن نفى الفصحى من الأسماع ليحل محلها نمط لغوى شعوبى لا وجود له خارج دائرة المتكلمين به .. وأعتقد أن ذلك يعد مقدمة لضرب الفصحى فى مقتل ، بجعلها غريبة بين أبنائها وأهلها . ونادراً ما تسمع أو تجد قصيدة فصيحة ينهض بها الآن مطرب أو مطربة ، بسبب القصور أو عدم القدرة على استيعاب الفصحى ، وتذوق جمالها وحلاوتها .

وما استعصى على قوم منال

ولا أدرى لماذا ترتبط الفصحى غالباً بالتعبير عن قضايا الأمة وهمومها وأحلامها العظيمة ، فى الوقت الذى تعبر فيه العامية عن حالة الهبوط والانحطاط الحضارى التى تصيب الناس !!.

فى الماضى كانت القصائد الفصحى تحمل أغراضاً شريفة ومعانى رفيعة وقيماً عليا ، تحض على الجهاد ، والتضحيات ، والدفاع عن الأوطان والأعراض ، وتكريس قيم الخير والجمال والحق .

كانت القصائد الدينية التى تشير إلى عظمة الإسلام وجهاد المسلمين وانتصاراتهم ، وما أكثر قصائد شوقى وحافظ ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم التى صبت فى هذا السياق ، وما أكثر الأبيات والمعانى التى كانت تصيب أعداء الأمة بحالة من السعار الغاضب ، لأنهم يعلمون أن هذه المعانى تجعل الأمة فى حالة استنفار دائم للهمة والعزيمة والإرادة الظافرة ، وإن أنسى لا أنسى ذلك المقال الأحمق الذى كتبه طائفى متعصب ، وتابعه طائفى آخر فى أحد كتبه حين أعربا عن استيائهما من غناء أبيات شوقى التى يقول فى بعضها :

وعلمنا بناء المجد حتى ... أخذنا إمرة الأرض اغتصاباً
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا

ووصل الأمر ببعض الشانئين إلى المطالبة بعدم إذاعة هذه الأبيات وأمثالها ، لأنها ـ فى زعمهم ـ تتعارض مع التحضر والتمدين !.

* * *

كذاب يا خيشة ..!!

الآن لا توجد مثل هذه المعانى ، ولا مثل هذه الأبيات ، بل هناك عاميات سيئة وهابطة ، نزلت بالكلمة والمعنى إلى الحضيض ، ومع ذلك شاعت وانتشرت ، وغزت وجدان ابنائنا ، ولا أجد أى معنى أو قيمة فيما

يسمعه ويُرَدِّدُونه من نوعيـة : « سلامتها أم حسن ... » و « ما اشربش الشاى أشرب أزوزة أنا » و « العتبة قزاز والسلم نايلون فى نايلون » و « والله ونضفت يا مسعد .. » و « كداب يا خيشة .. » إلخ .. مما يعف المرء عن ذكره أو الإشارة إليه .

إن ما يقدم بالعامية على هذا المستوى لا يحمل من المعانى إلا ما هو تافه وهابط وساقط ، ويعطى فى الوقت نفسه دلالة على الخواء الفكرى والاضطراب الاجتماعى واختلال القيم .

* * *

المزيد من الحـــرام ..

لقد تأملت موضوعات ما يسمى بالأغانى العاطفية ، فوجدت معانيها تكاد تكون واحدة ، تقريباً .. فهى تتحدث عن الهجر والفراق والعذّل ، فى إطار من الحزن الأسود القاتم الذى يبث قيم الخزى والاستسلام والخواء الروحى والسيلان العاطفى .. وبجانب ذلك فهناك الموضوع الذى يدغدغ الجانب الغريزى أو الحيوانى ويهبط إلى التعامل مع الجانب الأسفل فى الإنسان . ناهيك عما يقال عن طريقة أداء بعض المطربات فى الحفلات ، حيث تقوم بالغناء فى إطار من الحركات الجنسية الفاضحة ، والرقص المثير ، والملابس الخليعة .. مع الموسيقى الغربية الصاخبة سعياً لتحريك الجمهور كى يغنى ويرقص أيضاً !.

وأهل الفن سعداء بذلك لأنه يتيح لهم فرصة المزيد من الجمع والتحصيل لأموال طائلة من الحفلات التى يقيمونها ، وبيع الأشرطة والاسطوانات ، والبث فى التلفزة والإذاعات .

* * *

تجار من نوع آخر ..!!

وإذا كان تجار الفن قد اتخذوا من الغناء وسيلة غير مشروعة لمزيد من الكسب الحرام ــ فإن تجاراً آخرين ــ من نوع آخر ، قد اتخذوا الغناء

وسيلة لتحقيق أهدافهم وغاياتهم ، أعنى بذلك بعض الأنظمة المهزومة التى أذلت شعوبها ، وحكمتها بالحديد والنار ، وحاربت عقيدتها وشريعتها ، وفرضت عليها فى الوقت نفسه ، مذاهب ومبادىء لا تمت إلى هويتها بصلة أو تنتمى إليها برباط ، وسخرت المطربين والمطربات للغزل فى شخص الحاكم الطاغية ، والإشادة بالفرعون الإله ، فارتقى بذلك بعضهم إلى درجة من الشهرة والرعاية لم يصل إليها أفضل العلماء وأكبر الباحثين وأعظم العباقرة ، وصار المطرب أو المطربة قادراً ـ بحكم قربه من النظام المهزوم ـ أن يرفع من يشاء ويهبط بمن يشاء .. و « أهل الصحافة » يعرفون ذلك جيداً وبالتفصيل الدقيق .

وإذا عرفنا أن بعض الحكام كان يتفرغ ليعالج شئون الخلافات الزوجية بين مطربة وزوجها الملحن ، فلا غرابة أن يصل الغناء إلى « حالة استراتيجية » تفوق مواجهة الاحتلال اليهودى أو سقوط القدس فى يد « أولاد الأفاعى » !.

* * *

الصحراء لا تخضر ..!!

ثم لا غرابة أيضاً ، فى اتخاذ الغناء وسيلة لمحاربة الخصوم السياسيين أو فرض النظريات الفكرية والسياسية ، أو الترويج لمكاسب وهمية لم تتحقق على أرض الواقع .

انظر مثلاً لمن كان يغنى محارباً خصوم سيده ، ممن لا يؤمنون بفكره وتوجهه ونظريته ، ومن لا يسارعون إلى دخول رحابها غير الطاهرة .

[ونقول لك يا عدو الاشتراكية يا خاين المسئولية ـ ونطبل لك كده هو ونزمر لك كده هو] .

ومن هذا المعنى الإرهابى الابتزازى الرخيص ننتقل إلى صورة أخرى لتكريس الاستبداد والديكتاتورية وتحويل الشعب إلى ما يشبه « القطيع » الذى يردد وراء الراعى ما يريد :

[جماهير الشعب ، تدق الكعب ، تقول : كلنا صاحيين] ، وتأمل :

تدق ، وكلنا .. لنجد ذلك المنهج البشع الذى لا يرى إلا نفسه ، ولا يسمح بوجود الآخر أبداً ، حتى لو كان من أبناء وطنه وجلدته !!.

ثم تأمل تلك الدعاية الرخيصة للحاكم الذى زرع الصحراء بجثث الشهداء والمظلومين وليس بالقمح والقطن والذرة ، حين يقول مطربه :

[تفوت على الصحراء تخضر ...]

وما اخضرت الصحراء ، ولا أثمرت ، ولكنها ظلت صفراء كالحة تفتح ذراعيها للغرباء من حين إلى حين !!. بينما يقوم أعداء الأمة فى الجوار بزراعة الصحراء فعلاً ، واستعمارها ، وجلب السكان إليها من كل مكان وصاحبنا مشغول بمكافحة زيادة النسل فى شعبه !!.

* * *

التبشير الدينى ..!!

ولا أريد الاستطراد فى الحديث عن هذه التجارة الآثمة التى ينفق على تمويلها من دماء الشعب الفقير المطحون ، وعمل المسابقات على امتداد البلاد لاكتشاف الأصوات الجديدة ، لأكتفى قبيل ختام هذا الفصل بالإشارة إلى ظاهرة أخرى ، استخدم فيها الغناء ، وإن كان نجاحه محدوداً .. أعنى بذلك « التبشير الدينى » من خلال بعض المطربين فى بلادنا العربية أو البلاد الأجنبية .

ففى لبنان صنع « المارون » من المطربة الشهيرة التى تتسم أغانيها بالرقة والبساطة والخفة ، حالة غنائية تحتشد لها أجهزة الدعاية العربية فى كل مكان ، وبوساطة التنظيم الإعلامى الجيد والأداء الموسيقى الذى يتسم بالترتيب والتناسق ، صار للمطربة الرقيقة هالة كبيرة جذبت إليها معظم المثقفين والصفوة ، ومن ثم كان دورها فى تمرير التراتيل الكنسية ، والأغانى المستوحاة مما يسمى « الكتاب المقدس » ، والإيقاعات المرتبطة بالطقوس الدينية عند الكاثوليك (المارون) ، دوراً واضحاً ملحوظاً ، ولكن فيما يبدو فإن هذه الحالة لم تستمر بعد أن تنبه إليها بعض الناس الذين نبهوا من يعنيهم الأمر إلى خطورة ذلك السلوك فى المحيط الإسلامى ... وجاءت حرب لبنان الطائفية التى أشعلها « المارون » لتضع حداً للمسألة .

ولكن القوم فى أوربة يصدرون إلينا الأغانى التى يؤديها المشاهير هنـاك ، لتقوم بالدور ذاته الذى حاولت المطربة الرقيقة القيام به فى تطبيع العلاقات مع الرموز الكاثولوكية ، سواء من خلال الأغانى التي تذيعها بعض أجهزة التلفزة العربية ، أو تأتى عبر المحطات التلفزيونية الأجنبية التى تلتقط فى بلادنا ، أو من خلال بعض الحفلات التى تقام فى بعض العواصم العربية ويدعى إليها المطربون أو المطربات الأجانب .. ويكفى مثلًا أن تجد صورة « ديميس روسوس » الذى يظهر على الهيئة المزعومة للمسيح عليه السلام ـ أو تسمع بعض الكلمات والمعانى التى تتحدث عن « الكاثولوكية » على لسان آخرين .

* * *

الطوفان .. والجميع !!

إن الغناء ـ كما قلت سابقاً ـ تجاوز حدود الحلال والحرام إلى عالم « الجريمة المنظمة » فى حق الوطن والأمة ـ وصار ـ كما وصفت قبلًا ـ حالة من التلوث تعصف بوجدان شعوبنا وشبابنا خاصة ، مما يعنى أن الإنسان العربى المسلم مهدد بالإصابة فى حسه العربى وشعوره الإسلامى ، كما أنه مهدد بالانسلاخ عند ذاته وهويته وطبيعته الأصيلة ، مالم تداركه رحمة الله ، ثم إدراك من يعنيهم الأمر أن صياغة وجدان الأمة وفقاً للخصائص الإسلامية مسألة (حياة أو موت) ، وإلا فإن الطوفان سوف يكسح الجميع ، ويجعلنا على الأقل بلا هوية !!.

المهرجانات العالمية
بين دموع المحرومين .. ونشوة المترفين

[تتكلف الدولة المضيفة مبالغ كبيرة تدفعها خزينة الدولة المدينة غالباً بعشرات المليارات والمرهقة بتدبير رغيف الخبز ، لإقامة الضيوف وتوفير وسائل الراحة والرفاهية لهم !!]

المحرومون والمترفون !!

ابتليت بعض البلاد العربية ببدعة إقامة المهرجانات السينمائية والمسرحية والغنائية ، وتستجلب لهذه المهرجانات التى يعطونها صفة العالمية أو الدولية ، ضيوفاً من بعض البلاد الأجنبية يسمونهم نجوماً عالميين ، وهم فى الحقيقة من نجوم الدرجة الثالثة ، ولا قيمة كبيرة لهم فى بلادهم . تتكلف الدولة العربية المضيفة مبالغ كبيرة تدفعها خزينة الدولة (المدينة غالباً بعشرات المليارات ، والمرهقة بتكاليف أخرى عديدة أهمها تدبير رغيف الخبز !) لإقامة الضيوف من نجوم ومخرجين وفنيين وكتاب وصحفيين ، وتوفير وسائل الراحة ، والرفاهية لهم !.

* * *

يعرض فى الفندق !!

فى هذه المهرجانات تتخلى الدولة العربية المضيفة عن تقاليدها وقوانينها الخاصة بالتعامل مع الأعمال الفنية ، فيتاح عرض الأفلام والمسرحيات التى لا يتاح عرضها فى الأوقات العادية ، ويسمح بعرض المشاهد التى تتنافى مع الآداب العامة والأخلاق السوية ، فضلًا عن تعاليم الدين . وتأخذ أجهزة الرقابة على المصنفات الفنية إجازة من المتابعة ، أو الحكم على الأعمال الفنية المدرجة فى جدول العرض .. كل ما هنالك تقول الرقابة ، إذا كان المصنف صارخ الخروج على القيم والآداب العامة : « يُعرض فى الفندق » !! أى يعرض على نطاق أضيق قليلًا ، وفى كل الأحوال يتدافع الجمهور بطريقة وأخرى لرؤية المشاهد الجنسية الصارخة تحت مسمى الاستفادة من تجارب الآخرين ، وأحدث ما وصل إليه العالم فى مجال الفن وعروضه (!) ، حتى لو كانت هذه العروض وتلك التجارب لا تخرج عن كونها جرأة مقززة لأفكار شاذة تستخدم جسد المرأة وجسد الرجل فى تقديم مشاهد فاجرة لا تتلاءم مع بيئتنا وقيمنا وتقاليدنا ، وقبل ذلك ديننا وفطرتنا التى فطرنا الله عليها .

والذين يتابعون ما يكتب عن عروض هذه المهرجانات فى العالم العربى والعالم الغربى ، تصيبهم الدهشة والتقزز ، ليس بسبب المشاهد الجنسية الفاضحة التى تحتوى عليها فحسب ، ولكن للتشوه الذى أصاب العقول والأفئدة التى تنتج وتقدم مثل هذه الأعمال .. ويمكن لأى إنسان لم تتلوث فطرته أن يحكم على فيلم سينمائى مثلاً يحكى قصة رجل يحب امرأة ، ولشدة حبه لها يقوم بقتلها وتقطيع جثتها والاحتفاظ بها فى ثلاجة المنزل ثم يتناول أجزاءها فى طعامه على فترات ؟!! إن هذه النوعية التى تمثل الشذوذ والمرض النفسى تجعلنا نسأل : ما قيمتها موضوعياً وفنياً ؟ وهل تمثل خبرة جديدة تضاف إلى خبراتنا فى عالم السينما ؟.. إنها بالدرجة الأولى دليل على إفلاس المدنية الغربية وسقوطها فى وحل الحيوانية ، بعد أن توحشت على مدى القرنين الماضيين ، حيث امتلكت القوة والعلم ، فاستباحت الآخرين من الضعفاء ، ونهبت ما يملكون وأذاقتهم الذل ألواناً ، متخلية عن أصول الأديان أو الشرائع السماوية .. واليوم وهذه المدنية تشعر بتسيُّد العالم وسيطرتها عليه ، فإن شعوبها تعيش فراغاً روحياً كبيراً ، جعل الكثيرين من الأفراد ينحرفون إلى ملء هذا الفراغ بكل ما هو شاذ ودميم ومناف للفطرة والأخلاق . ولا ندرى ما هى طبيعة الإضافة التى ستضيفها التجربة الغربية فى شذوذها إلى مجتمعاتنا التى تحتاج إلى مساعدة ودعم كى تنهض وتواصل الحياة وتوفر رغيف الخبز لأبنائها ..

إن التجربة الشاذة لن تضيف إلينا ـ مهما كان التفوق فى إخراجها والإبهار فى تقديمها ـ إلا المزيد من الإحباط والاكتئاب والمرارة .

* * *

الخارجون على المجتمع !!

وإذا كان الآخرون يعبرون عن تجاربهم الخاصة بما فيها من شذوذ وانحراف فهم صادقون مع أنفسهم على كل حال .. ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هو : هل إذا قدمنا مثل هذه التجارب أو غيرها مما يتصادم مع أخلاق المجتمع وقيمه وتقاليده نكون قد سرنا على الطريق الصحيح حقاً ؟ .

نود أن ننبه فى البداية إلى أن مثل هذه المهرجانات تعطى فرصة لأولئك الخارجين على المجتمع العربى المسلم كى يقدموا أعمالًا متطرفة ضد الفطرة الإنسانية ، ومتصادمة مع تقاليد المجتمع ، وفى الوقت نفسه تحمل جرأة على الدين الإسلامى بطريقة فجة ووقحة !.

* * *

عاريان على المسرح !!

فى مهرجان يسمى المسرح التجريبى ، قدمت فرقة دانمركية عام ١٩٨٩ مسرحية بعنوان « هيروشيما .. حبيبتى » تتضمن مشهداً بين رجل وامرأة عاريين فوق سرير بغرفة نوم ، ويستعيدان أحداثاً قديمة مرت بهما وتنتهى هذه الأحداث بممارسة أفعال مخلة بالآداب العامة فوق خشبة المسرح بدار الأوبرا المصرية ، وتوقف عرض المسرحية فى اليوم التالى بعد الاستهجان الذى لقيه العرض من جانب المشاهدين وبعض المسئولين ! فقد كان بعضهم الآخر سعيداً بالعرض ومحرضاً عليه ، مستخدماً سلطانه فى حماية العرض وأصحابه ، ومتحدياً الجمهور والقانون والأخلاق والدين !! .

* * *

الكعبة .. والراقصة !!

كما أوقفت السلطات منذ فترة قريبة مسرحية أخرى بالتحديد فى عام (١٩٩١ م) كانت معروضة فى مهرجان المسرح التجريبى أيضاً ، المسرحية تعالج ظاهرة شعبية تمثل المعتقدات الخاطئة (الزار) ، ولكن الذين صمموا المسرحية فاجأوا المشاهدين بمشهد تظهر فيه الكعبة المشرفة (قبلة المسلمين ورمز وحدتهم ومحل حجهم ومكان تطهرهم) وقد خرجت منها راقصة ترقص بصورة فاضحة ، ثم تتحول الكعبة إلى برميل بترول !!.

جرى هذا المشهد فى مسرحية تعالج « الزار » الذى يلجأ إليه العوام لحل بعض مشكلاتهم بحكم جهلهم وسطحيتهم وسذاجتهم .. فما العلاقة بين الكعبة والزار ؟! .

تنبهت الكاتبة « صافيناز كاظم » إلى الجريمة ، ولم تصدق ما تراه ، فسألت من يجلسون بجوارها : هل ما تراه أمامها صحيح ؟ واستخدمت قلمها فى التنبيه إلى الجريمة ومرتكبيها الذين يستعدون ـ فيما بعد ـ ليبولوا فى حلوقنا (!) [المصور ١٩٩١/٩/٦] بعد أن جرحوا مشاعر المسلمين ومقدساتهم !! .

هاجت الدنيا وماجت ، ولكن الذين قدموا المسرحية أو ساعدوا على تقديمها ، حققوا لأنفسهم شهرة كبيرة ودعاية عظيمة ، بل أتيح لهم أن يظهروا على شاشة التلفزة للناس بعيون جريئة : لم نكن نقصد !! أو إن الناس فهموا خطأ !! ثم كان لسان حالهم يقول للجمهور وهو يخرج من فهمهم : موتوا بغيظكم ، فقد حققنا المراد ، وانتهى المهرجان أو المولد « بحمص وحلاوة ودعاية كان ! » .

والطريف أنه عندما يتصدى أحد لمثل هذه السفالات الفنية التى تجرى فى مهرجانات ينفق عليها من أموال الشعوب ودمائها ، تجد فريقاً من الناس يصف المتصدى بالتطرف والتخلف والسلفية والردة والظلامية .. إلى اخر القاموس البذىء الذى يستخدمه أصحاب هذه السفالات ، وأنصارهم من حملة الأقلام غير المتوضئة .

* * *

الدين .. والثقافة

بل إن البعض من حملة الأقلام لا يجد غضاضة فى مهاجمة من يتحدثون عن الالتزام الخلقى والدينى أمام هذه الموجات المسعورة من الهبوط والتدنى فى الأعمال الفنية ، ويحاول البعض أن يفصل بين الدين والفن بحجة أن « المقدس » ـ كما يسمى الدين ـ قد تم الفصل بينه وبين الإبداع الفنى منذ زمان بعيد ، تقول إحدى الكاتبات :

« إن هذا الأسلوب (تقصد الربط بين الدين والفن) الذى عفا عليه الزمن فى التعامل مع الفن يلحق أضراراً فادحة بتطور ثقافتنا ، وذلك بالإصرار على إلحاقها بالدين ، رغم أن الميدانين قد انفصلا فى العالم المتحضر كله منذ زمن بعيد ، فأصبحت الثقافة عالماً مستقلاً بذاته ، له قوانينه وضروراته ، وبقى الدين مقدساً كما هو . وأن يعاود البعض وبإصرار فرض

رقابة المقدس على الدنيوى بطبعه ، فلابد أن يلحق الأذى مرة ثانية بالاثنين معاً . فيفقر دنيا الثقافة المتنوعة التى لا تزدهر إلا فى مناخ حرية الفكر والتعبير ، ويضع الدين فى اختبارات قاسية ، هو بطبيعته الخاصة لابُد أن يبقى بمنأى عنها ، لأن نتائجها غير مضمونة وغير محمودة فى غالب الأحيان » [الأهالى ١٩٩١/٩/١١] .

صاحبة هذا الكلام لم تحدد الدين الذى تقصده . إذا كانت تتكلم عن الإسلام فهى لم تفهمه بعد ، لأن الإسلام منهج حياة ، وليس منهج كهنوت ، وهو أسلوب حضارة وثقافة وعلم وسياسة واقتصاد .. إلخ ، وليس مجرد تراتيل تتلى خلف الجدران ، ويوم الزفاف وعند الجنازات . أما إذا كانت تتكلم عن دين آخر غير الإسلام ، فلا ريب أنها سمعت عن مقولة (ت . س . إليوت) الشهيرة وفحواها « أن الثقافة هى الوجه الآخر للدين » ، وأعتقد أن اليوت فى مفهوم الكاتبة وشيعتها فوق مستوى الشبهات التى يوصم أصحابها بالرجعية والردة والظلامية .. إلخ ، وكان للرجل فى بلادنا قبل عقدين من الزمان شهرة تفوق شهرة الكثيرين من الأدباء والمفكرين الأجانب ، وكان يتبتل فى محرابه العلمانيون واليساريون وغيرهم ممن لا يستريحون إلى « الإسلام » ومنهجه .

ثم من هذا الذى يستطيع أن يثبت أن الثقافة قد انفصلت عن الدين منذ زمان ؟ هل هناك دليل على ذلك ؟ إن معظم الكتب والأفلام والمسرحيات والمسلسلات التى تأتينا من الغرب أو « العالم المتحضر » كما ترى الكاتبة ، مربوطة من إحدى قدميها أو يديها بالدين بصورة وأخرى ، فأين هو هذا الانفصال المزعوم ؟.

أعجبنى ما قاله الأستاذ « فهمى هويدى » تعليقاً على ذلك التشنج الفكرى الذى لا يستند إلى دليل أو علم حين عبر قائلًا :

« نستغرب فكرة سكوت البعض على مصادرة آرائهم فى الشئون الدنيوية ، وعجزهم عن الدفاع عن حرية أوطانهم ، ثم استبسالهم فى الدفاع عن حرية إهانة عقائد الخلق .. وكأنهم يريدون بتهجمهم على عالم الغيب ، أن يعوضوا فشلهم وإحباطهم فى عالم الشهادة ! » [الأهرام ١٩٩١/١٠/١] .

على كل حال ، لقد صارت « إهانة » الإسلام من قبل بعض الناس

هدفاً يختزل كل أفكارهم وقيمهم وعقائدهم ، وهو هدف رخيص ، لأنه يعبر عن جبنهم الواضح ، أمام عقائد أخرى وشرائع أخرى ، حيث لا يستطيعون مجرد المساس بها من قريب أو بعيد .. وتفصيل ذلك ليس هنا مجاله ، ولكن أدلته واضحة ، وعلاماته ظاهرة .

* * *

الــزار الآخــر !!.

لقد كنا نتمنى من الذين عالجوا « الزار » الشعبى بإهانة الدين ، أن يعالجوا زاراً آخر أشد خطورة ووحشية على الشعوب والأمم ، إنه الزار الذى يقام بوعى وعلم وتخطيط لسلب الأمم والشعوب دينها وعقيدتها وأخلاقها وقدرتها على الإبداع والابتكار ، ومصادرة أحلامها الإنسانية فى البناء والتعمير والرخاء ومواجهة الأعداء وتحقيق الإرادة الظافرة .. هذا الزار لا يتناولونه ، ولا يعبرون عنه لأنهم بكل بساطة يخدمون من ينصبون حلقاته ويؤدون طقوسه ويدقون طبوله .. ثم يقومون بالرقص مع الراقصين !.

* * *

الحضــــور اليهودى ..!!

ثمة ناحية أخرى تتعلق بالمهرجانات الفنية تلك ، وهى ذلك الحضور « اليهودى » الذى يعلن عن نفسه بخفوت أحياناً ، وبصوت عال فى أكثر الأحيان ، ولا أبرىء مهرجانات العالم العربى من ذلك الحضور « اليهودى » بصورة أو أخرى ، على الأقل فى الأفلام أو المسرحيات التى تجعل اليهودى « مظلوماً و « ضحية » ويستحق العطف أو « يستحق الإعجاب » وبخاصة حين يظهر فى صورة « السوبرمان » الذى يواجه عناء لا يحتمله البشر ثم ينتصر فى النهاية ، وفى المقابل يبدو « العربى » ــ الذى هو رمز للمسلم عادة ــ فى صورة متوحشة أو سلبية على أحسن الفروض .

وقد اتضحت السيطرة اليهودية على المهرجانات السينمائية خاصة ، أوضح ما تكون فى مهرجان « كان » السينمائى الذى أقيم بفرنسا (مايو ١٩٩١) . وظهر الوجه القبيح للصهيونية مع نتائج المهرجان حيث قام المخرج اليهودى البولندى الأصل (رومان بولانسكى) رئيس لجنة التحكيم بتحطيم كل التقاليد المنطقية ، ومنح أخوين يهوديين هما « جوبل وإيثان كوهين » ـ مخرجان ـ أكبر جوائز فى المهرجان على إخراج فيلمهما « بارتون فينيك » ، وهو أمر لم يحدث فى مهرجان كان أو أى مهرجان آخر على مدى ٤٤ عاماً ، مما أثار احتجاج نقاد السينما فى أشهر الصحف الفرنسية وسخريتهم ، وقد عبر ناقد « اللوموند » الفرنسية عن سخريته من قرار اللجنة المحكمة التى تضم فى عضويتها الممثلة اليهودية « ووبى جولدبرج » ، قائلًا : « لماذا لم يحصل الفيلم أيضاً (يقصد الفيلم اليهودى) على جائزة الصداقة مع رئيس لجنة التحكيم !.. ولماذا لم ينل بقية الجوائز بالمرة التى لم تعد لها قيمة ؟! » .

وتبدو السيطرة اليهودية أكثر بشاعة حين نعلم أن فيلم الافتتاح فى مهرجان « كان » الرابع والأربعين ، كان فيلماً يهودياً صهيونياً عنصرياً وقحاً اسمه « قتل الرجال » ، ويطالب صراحة كل يهودى فى العالم أن يتحول إلى صهيونى عنصرى يتحمس لعنصره ولو اقتضى الأمر أن يقف ضد البلاد التى ولد بها وعاش فيها ! إنه انقلاب صهيونى صريح استطاع السيطرة الصريحة على أكبر المهرجانات السينمائية فى العالم .[راجع أخبار اليوم ١٩٩١/٥/٢٥] .

* * *

العــــرق والدم ..

على كل حال ، فإن هذه المهرجانات الفنية (العالمية) والتى تقام على أرضنا العربية ليست بعيدة عن المخالب اليهودية التى تفترس العقل العربى وتمسخه وتسخر منه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

ثم إنها فى كل الأحوال لا تمثل ضرورة حيوية للشعوب العربية ، وإن

كانت فى بلاد الغرب تحقق مكاسب تجارية للهيئات والمؤسسات التى تقيمها بحكم اختلاف أوضاعنا عن أوضاعهم ، وعقيدتنا عن عقائدهم .. ثم إنها ـ وهذه هى المفارقة ـ تقام عندنا من أموال الشعوب ـ التى تبذل من أجلها عرقاً غزيراً ودماً غالياً . أما عندهم فتقوم الشركات المستفيدة بتمويلها وتحقيق الأرباح من ورائها .. فهل يجوز لشعوب تئن من الديون والفقر ـ وربما الجوع ـ أن تقيم هذه المهرجانات ؟ إن منطق الدين ومنطق الأخلاق ومنطق الواقع ومنطق الاقتصاد لا يقر ذلك أبداً .

الرقص الفاجــر ..

والعجيب الذى ليس عجيباً ـ أن تختتم هذه المهرجانات بحفلات ماجنة تعتمد على الرقص الفاجر والغناء الرخيص ، وتسفح على الموائد كل أنواع المشروبات المحرمة ، ثم تصور هذه الحفلات ، وتباع للناس فى أفلام يشاهدها الكبار والصغار ، والأغنياء والمحرومون .. وكل ذلك يتم باسم الفن !! وياله من فن !!.

الداعيـــة والجائزة ..

يبقى أن نشير إلى أن أول من دعا إلى إقامة هذه المهرجانات فى عالمنا العربى صحفى طائفى متعصب انتقل إلى الدار الآخرة منذ سنوات ، استطاع بدهائه أن يقنع بعض الأطراف بفكرته ، فلقى التأييد ، وتوالى الإغداق ، وتم تنفيذ الفكرة ، وتجمعت القوى المستغربة والساذجة ووقفت من وراء الفكرة التى أخرجت إلى الواقع العملى .. ثم تكررت فى كل عام ، وراح آخرون يقلدون الفكرة التى اتسع نطاقها فى دول عربية ومدن عربية عديدة .

ويلاحظ أن الجوائز التى كانت تمنح فى نهاية المهرجان عبارة عن « تماثيل فرعونية ! » لبعض الآثار والشخوص فى الحضارة المصرية القديمة ، وهى الحضارة التى يدعو إلى بعثها واعتناقها صاحب فكرة المهرجانات .. وأظننا الآن فهمنا بقية الحكاية .. ولمن لم يفهم ، فقد كان الرجل ـ أذكّر ـ طائفياً متعصباً يكره الحضارة الإسلامية ورموزها ومنهجها ومقاصدها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

التحالف الحريمى

[إنها ظاهرة هشّة محكوم عليها بالإخفاق فى وقت قريب ، لأنها لا تعتمد على فكر ناضج ، ولا فن مكتمل الأداة ، فضلًا عن افتقادها الحس الخلقى ، والضمير الحى ...]

عنـــوان مراوغ ..!!

هى ظاهرة لافتة للنظر بالفعل ، وإن كانوا قد تحدثوا عنها تحت عنوان مراوغ اسمه « سينما المرأة » ، ولكن التحالف الحريمى الذى انعقد بين مجموعة من السيدات لتقديم بعض الأعمال الفنية ، سواء فى السينما أو التليفزيون ــ وربما فى مجالات أخرى ، قد أثارها انتباهى ــ وربما انتباه غيرى ــ لطبيعة التحالف وأعضائه ومضمون الأعمال الفنية التى يقدمها ، وأيضاً مستواها الفنى ..

التحالف الحريمى مجموعة من السيدات يجمع إلى الممثلة المخرجة والمؤلفة والناقدة ، وربما المصورة ، فضلًا عن المنتجة .. وأعضاء هذا التحالف [وليس عضوات على الأصح] ينتمين إلى فكر رافض للمنهج الإسلامى مباشرة أو ضمناً ، فقد عاش بعضهن محنة الطلاق ، وتجربة الإخفاق فى الزواج أكثر من مرة ، ومعاناة مشكلات ما قبل الطلاق ، وهى المشكلات التى يصنعها غالباً عدم الاحتكام إلى الدين ومنهجه ، سواء من جانبهن أو جانب أزواجهن .. وصارت المشكلات الخاصة بهن مادة خصبة وطريقاً واسعاً يفضى إلى إنتاج مسلسلات تلفزيونية وإذاعية أو أفلام سينمائية تضع نظام الزواج والطلاق فى الإسلام داخل دائرة الاتهام بصورة وأخرى .

* * *

سلعـة ودميـة

وربما كان القصور الفكرى مع الحظ التعس الذى رافق بعض أعضاء التحالف فى الحياة الأسرية من وراء تلك الصورة المشوشة ، والمهزوزة فى التعبير عن العلاقة بين الرجل والمرأة فى المجتمع الإسلامى ، أو قل التعبير عن وضع المرأة فى التشريع الإسلامى . وهو وضع ــ لعمرى ــ يرقى بالمرأة ــ حتى لو كانت من غير المسلمين ــ إلى مستوى الإعزاز والتكريم ، لم تعرفه المرأة فى أية شريعة أخرى ، ولكن ينبغى لنا أن نلتمس العذر لهؤلاء اللاتى لم يتعرفن على الإسلام بعد ، فقد نشأن فى كنف تربية علمانية قاصرة أهملت

الدين وأتاحت المجال واسعاً للآراء والأفكار التى تُنقل عن الآخرين نقلًا حرفياً ، وبخاصة أنها تلبست بما يسمى « حرية المرأة » أو « تحرير المرأة » ، وهى دعوى حق أريد بها باطل ، لأن تحرير المرأة فى المنظور الإسلامى يختلف عنه لدى الآخرين ، الذين يحولون المرأة إلى « سلعة » تجارية يتربحون من ورائها ، بدءاً من عروض « الموضة » مروراً بالتمثيل والغناء والإعلانات حتى مسابقات ملكات الجمال ، أو ما يسمى الآن بالفتاة المثالية !!. أو يصيرونها « دُمية » يتلهى بها الناس فى الشارع والنادى والمجالس المختلطة والتعليم المشترك والحفلات الليلية .. إلخ . الإسلام يرفض منظور الآخرين هذا ، ويعنى بأن تكون المرأة إنساناً كامل الإنسانية حراً كامل الحرية .. وفى ذلك تفصيل لا يحتمله السياق ، ولكننا نشير بإيجاز إلى أن الإسلام فى طبيعته وجوهره ومبتدئه ومنتهاه وشكله ومظهره ، هو دين الحرية بالمعنى الأرحب والأوسع ، ويجعل من الإنسان سواءً كان رجلًا أو امرأة إنساناً حراً كريماً على نفسه وعلى غيره من المسلمين ، ولا يخضع إلا لله الواحد الأحد ، ثم هو ينفى ما عدا الله .. إن الإسلام تحرير للإنسان من كل عبودية تسترقه وتغل يده عن التفكير والإبداع والعمل والإنتاج ومعانقة الحياة ، وهو ما يقتضى أن تكون العبودية للمعبود وحده ، ومن داخل هذه الدائرة فإن ما يشرعه المعبود [هو الله جل جلاله] ـ والخضوع لشريعته وفهم مقاصدها ، هو جزء لا يتجزأ من الحرية ، لأنه أمر طبيعى لا غرابة فيه .

* * *

فقـــه الإســـلام ..

ولا ريب أن الإسلام يعطى المرأة الحرية فى أروع صورها : تفكيراً وإبداعاً وعملًا وإنتاجـا ومعانقة للحياة ، ولكنه يربأ بها أن تكون « سلعة » تجارية ، أو « دمية » لهو فى يد من لا يفقهون الإسلام أو يعادونه لسبب ما ، وإذا كان البعض قد رسب فى « فقه » الإسلام ، فهذا ليس ذنب الإسلام ، وليس لقصور فيه ، فما أكثر الجرائم التى ترتكب باسم الإسلام ، وهو منها برىء ! وإذا كان البعض يظلم المرأة باسم

الإسلام ، فالعدالة ينبغى أن تتجه إلى الظالم ، وليس إلى الإسلام ، لأن الإسلام لا يقر الظلم حتى مع أعدائه .. فما بالكم بالمرأة المسلمة ؟.

* * *

الحملات الضارية !!

إن القوم فى حمأة الشنآن والكراهية للدين الإسلامى لا ينظرون إليه بعين منصفة أو عادلة ، ولكنهم يرونه عدواً للبشر عامة والمرأة خاصة .. ومن هنا كانت الحملات الضارية التى توجه إلى الطلاق وتعدد الزوجات ، وبالتالى إلى زيادة النسل بوصفها ــ فى مفهومهم ــ كارثة اقتصادية واجتماعية !!.

إن الأعمال الفنية التي عبرت عن هذه الحملات تنطلق من مفهوم أن المرأة يجب أن تعبر عن ذاتها بطريقتها الخاصة ، وأن تضمن مستقبلها بالخروج إلى العمل سواء كانت هنالك ضرورة أولم تكن ، وسواء كان هذا العمل يوفر لها الكرامة والاحترام أو يسفح كرامتها ويهدر إنسانيتها . وهذا المفهوم ــ فيما يبدو ــ يرتكز على إحساس بأن الحياة حرب ضارية بين الرجل والمرأة ، يجب أن يأخذ فيها الطرف الأضعف (وهو المرأة) أهبته واستعداده لملاقاة العدو القوى الظالم (وهو الرجل) ، ثم هزيمته فى « أم المعارك » الكبرى ، حتى لا يجرؤ على الاقتران بامرأة أخرى ، أو يفكر ــ مجرد تفكير ــ فى إيقاع الطلاق ! أو يسعى إلى زيادة النسل بعد ولد وبنت !.

* * *

قصــــور عقـــدى ..

إن هذا الفهم المادى السخيف لواقع المرأة وللعلاقة الزوجية فى الأسرة المسلمة ، يعبر عن قصور عقدى ، وتقصير فى الوعى بالمفاهيم الإسلامية ومقاصد الشريعة . والمسئول عنه هو التخلف الفكرى الذى أصاب بعض الناس ــ أو قل معظمهم ــ فى مجتمعنا الإسلامى ، وجعلهم يلوون أعناقهم

بعيداً عن دراسة التشريع الإسلامى وفقهه ، وينظرون بعين واحدة إلى المصادر الثقافية التى تشكل وعيهم وتصورهم ، فلا يكتشفون إلا جزئيات أو حقائق غير كاملة ، فيتشوش فكرهم ويسوء حكمهم ، ويظهر ذلك رأياً قاطعاً فى أعمال فنية لا تناقش ولا تحاور ، بل تحكم وتصادر ، وبخاصة حين تعتمد على عنصر العاطفة ، وتعزف على وتر المشاعر .

* * *

حمـــاية ومسئوليـــة ..

إن حقوق المرأة : أماً وزوجة ، أختاً وبنتاً ، عمةً وخالة ، جدةً وحفيدة ، مكفولة فى الإسلام بما يعزز من كرامتها ، ويصونها عن الابتذال ويحمى كيانها وسمعتها ووجودها ، والرجل فى كل الأحوال مسئول عن المرأة ، وإذا لم يوجد الرجل القريب الذى يتحمل هذه المسئولية ، فالدولة (أو وحداتها الصغرى) تتولى ما كان ينبغى عليه أن يتحمله .

وإذا كانت هذه فلسفة الإسلام فى حماية المرأة والالتزام بوجودها ، فإلى أى مدى وصلت صورة المرأة المسلمة المعاصرة فى الأعمال الفنية لدى التحالف الحريمى ؟.

* * *

نظـــرة دونيـــة ..

إننا نستطيع أن نجيب باختصار على هذا السؤال ، ونقول : إن صورة المرأة فى الأعمال الفنية لا تسر ، وهى صورة تعكس نظرة دونية وحيوانية وتجاريه للمـرأة ، ولا أبالغ إذا قلت إن التحالف الحريمى قد أساء إلى المرأة فى منتجاته الفنية حين جعلها مجرد باحثة عن المتعة ، وحين حولها ـ دون أن يقصد ـ إلى مجرد جارية فى بلاط الرجل !.

قولوا لنا : من تكون هذه المرأة التى تتصارع مع أخريات من أجل الفوز بالرجل ، وتبذل فى سبيل ذلك كل ما تستطيع ، وتخترع كل الحيل الممكنة لاصطياد طريدتها !.

قولوا لنا : من تكون هذه المرأة التى ترتمى على أقدام الرجل من أجل المتعة ، وهى تعلم أن هنالك من تنافسها فى هذا المجال !.

قولوا لنا : من تكون هذه المرأة التى « تسترجل » وتخوض معارك الصراع بين الفتوات ، وتقود عصابات من الرجال تسفح الدم وتمارس العنف وتستبيح العلاقة الجنسية المحرمة ؟.

قولوا لنا : من تكون هذه المرأة التى تتجاوز السلوك الطبيعى إلى السلوك الشاذ ، وتتعامل جنسياً مع مثيلاتها من النساء ؟.

هل هذه هى المرأة المسلمة كما يقدمها التحالف الحريمى فى أكثر من عمل فنى مشهور ؟.

* * *

النماذج المفقودة ..

إننا لم نجد فى صورة المرأة ــ كما قدمها التحالف الحريمى ــ أياً من تلك النماذج العظيمة التى تمثل المرأة البانية ، والمرأة المؤسسة لأسرة متضامنة قوية ، ولم نجد المرأة الحنون العطوف التى تربى أبناء وبنات ، وتسهر على رعايتهم إلى جانب العناية بالزوج العامل المكافح ، ولم نجد المرأة التقية النقية التى تشع إيماناً وتضىء يقيناً وسط ظلمات الحياة وجهامتها .. لم نجد أياً من صور المرأة المسلمة ــ بالمعنى الصحيح للوصف ــ وإنما وجدنا المرأة على اختلاف طبقتها ومستواها الثقافى تسفح شرفها وكرامتها وأغلى ما تعتز به المرأة لتظفر بقلب رجل منحل خلقياً ، وانتهازى سلوكياً ! .

إن راية « سينما المرأة » كرست صراعاً لا داعى له ، عملياً وخلقياً ، وإن كان مضمون هذه السينما يثبت أن المرأة تتهافت على الرجل بأى ثمن ، ولو كان عفتها وموطن فخرها وعزتها ! وهذا ما يناقض الواقع فى جملته ، لأن معظم نسائنا ــ بحمد الله ــ يحافظن على شرفهن وعفتهن وكرامتهن . أيضاً فإن هذا يناقض دعوى التحالف الحريمى ذاتها ،والتى تزعم ضرورة استقلال المرأة ، وقدرتها على الاستغناء عن الرجل !.

ومن المؤسف أن التحالف الحريمى لا يلقى بالًا لطبيعة العلاقة الجنسية

بين الرجل والمرأة من حيث الحلال والحرام ، بل يضع الأولوية لما يمكن تسميته « امتلاك الرجل » ، فالمرأة التى تنجح فى امتلاك الرجل بأية وسيلة ، مشروعة أو غير مشروعة ، هى المرأة الناجحة الشجاعة ، أما تلك التى تحافظ على عفتها وشرفها فهى الرجعية المتخلفة .. وياويلها من التحالف الحريمى !.

* * *

المـــرأة المسترجلة !!.

ثمة ظاهرة أخرى فى هذا السياق ، وهى ظاهرة شاذة وغريبة ، أعنى تقديم « المرأة المسترجلة » ، أو بمعنى آخر المرأة الفتوة ، التى تنافس الرجل أو الرجال وتتحداهم ، وتتزعم عصابات من الرجال ، وتقودهم إلى الدم والعنف والجنس والمخدرات . إن هذا النموذج فى الواقع الاجتماعى لا يشكل ظاهرة ، وإن كانت هنالك بالفعل نساء يمارسن العمل والتجارة ، ويشكلن « مراكز قوة » اقتصادية ـ إن صح التعبير ـ فى القرى والمدن . وهناك ما يعرف الآن بـ « سيدة الأعمال » فى مقابل « رجل الأعمال » ، ولكنهن جميعاً لا يصنعن الظاهرة البشعة التى تقدمها السينما بذلك الإلحاح وتلك المبالغة الفجة !! .

إن « المرأة المسترجلة » التى تمارس الانحراف وتعيش الفساد والدم والعنف والمخدرات غريبة على مجتمعنا ، وبعيدة عن قيمنا وتقاليدنا ، ومهما بلغت المرأة فى انحرافها الخلقى والسلوكى ، فلن تكون بتلك الصورة البشعة التى تقدمها السينما العربية ، وتحاول أن تجعل منها شخصية واقعية ومألوفة .

* * *

المـــرأة الخـــارقة ..

ويدخل فى هذا الإطار تقديم المرأة ذات العضلات التى تتعامل مع الرجال بالقوة : مصارعة ومغالبة ! إن أهل الفن يقدمون نموذجاً للمرأة هو خليط من الفتاة والغلام .. تقص شعرها وتلبس البنطلون وتتشبه بالشبان

وتخوض معارك الكاراتيه ، وهذا النموذج لا وجود له فى الواقع المعاش ، وإن صح له وجود فهو شاذ وغريب . ولا يحتج ببعض الفتيات اللاتى يتدربن على رياضة الكاراتيه فى بعض الأندية ، فأمرهن يظل محصوراً بجدران تلك الأندية ولا يتعداها إلى الواقع الخارجى .

على كل حال ، فما أظن تقديم هذا النموذج فى السينما العربية إلارغبة ساذجة وفجة فى تقليد السينما الأجنبية ، وسعياً إلى جذب الجمهور إلى الشباك أو توزيع أشرطة الفيديو لتحقيق مزيد من الكسب على حساب المرأة فى بلادنا ، وهى المرأة التى تخوض معارك شريفة من نوع آخر للتغلب على عناء المعيشة وقسوة الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، والتى يبدو أن أهل الفن لا يعلمون عنها شيئاً ، ولا يسمعون عن كفاح المرأة فى مواجهتها .

فى الخلل التصورى لإدراك المرأة وطبيعتها أيضاً ، يبدو جانب الإلحاح على إبراز المرأة فى صورة خارقة للعادة (سوبر ومن) ، ومحاولة جعلها البطل الذى يواجه العصابات الفاسدة فى مجالى المخدرات والاقتصاد والسياسة ، وهى محاولة مقبولة ، لو كان لذلك وجود حقيقى وملموس فى الواقع العملى ، ولكن هذا الواقع يقرر أن المرأة مجرد عنصر من العناصر التى تستخدم فى الإفساد أو الخدع أو الإغراء أو الغواية من قبل العصابات الشريرة أو أجهزة الشرطة .

* * *

المـــرأة الشـــاذة ..

وقد ذهب القوم إلى أبعد من ذلك فى مجال الخلل التصورى حول المرأة ، حين سمحوا لأنفسهم بالدخول إلى سجون النساء ، وتناولوا مسألة الشذوذ الجنسى بين السجينات المنحرفات ، وقدموا الموضوع إلى الجمهور الذى يعد ــ بالرغم من أية مضاعفات ــ صافى الفطرة ، بعيداً عن تلك الرذيلة البغيضة التى تحولت على أيدى أهل الفن إلى ظاهرة مليئة بما يصدم الفطرة النقية ويفترى على المجتمع ، ويكذب على الواقع ، ويتنافى مع قيم الأمة وأخلاقها . لقد ثار ذوو الضمائر الحية على هذا المنهج الإجرامى ،

وتصدت الأقلام المخلصة لذلك التيار البشع الذى يلوث أخلاقنا ومنهجنا وتقاليدنا ، ويتجاوز حدود الدين والأعراف والقانون ـ ولكن يبدو أن هنالك تنظيماً خفياً يساند هذا الإجرام المخطط ، ويعلن عن هذه المساندة من خلال بعض الموضوعات الصحفية أو الإذاعية أو التلفزيونية ، أو من خلال بعض الأجهزة الإدارية التى فقدت الحس والضمير والخلق .

* * *

شهــرة واهتمــام ..

إن المفارقة التى نلاحظها أحياناً هى وصول بعض السيدات العاملات فى إطار التحالف الحريمى إلى مستوى بعيد فى الشهرة ، تروج له الصحف وأجهزة الدعاية ، ثم يأتى فى السياق ذاته اهتمام جهات أجنبية ببعضهن ، وبخاصة فى المهرجانات الفنية العالمية ، بوصفهن رائدات طليعيات فى مجال الفن عامة ، أو ما يسمى بسينما المرأة خاصة .. بالرغم من أن هذه السينما تشكو فنياً من ضعف البناء الدرامى ، وتعانى من قصور فى بناء الشخصيات ، فضلًا عن ضعف الحوار الذى يأتى غالباً فى لغة خطابية فجة ! .

لقد قالت إحداهن ذات مرة ، إنها تكره الرجال ولن تفكر فى الزواج مرة أخرى ! وإذا كان هذا القول يعبر عن حالة من الشذوذ السلوكى تجاه الرجل ويخالف الفطرة الطبيعية التى تحكم علاقة الرجل والمرأة ، فإننا لن نستغرب الشذوذ الفكرى والتصورى الذى تحمله الأعمال الفنية التى تصدر عن ذلك التحالف الحريمى المريب !.

* * *

أقــلام متــواضعة ..

وينبغى ـ بالرغم من الصورة القاتمة التى يصنعها تحالف المرأة فى المجال الفنى ـ أن نشير إلى وجود بعض السيدات الفاضلات استطعن بأقلامهن المتوضئة والنظيفة أن يتصدين للإسفاف الحريمى وغيره فى مجال

الفن ، وأن يعالجن الأعمال الفنية للسيدات وغيرهن بموضوعية وعلم وتجرد ، ويكشفن معالم الانحراف والزيف والغش والتضليل فى هذه الأعمال . إننا نوجه التحية لهذه الأقلام وبخاصة قلم الأستاذة « صافيناز كاظم » الكاتبة المعروفة ، وقلم الأستاذة « خيرية البشلاوى » الناقدة الفنية بجريدة « المساء » ، فهما رمز للمرأة التى تحترم أمتها وثقافتها وهويتها ، ولا تنخدع بالبريق الزائف أو الطلاء المغشوش .

* * *

ظاهـــرة هشـــة ..

إن التحالف الحريمى فى المجال الفنى ظاهرة هشة ، محكوم عليها بالإخفاق فى وقت قريب ، لأنها لا تعتمد على فكر ناضج ، ولا فن مكتمل الأداة ، فضلًا عن افتقادها الحسّ الخلقى والضمير الحى ، وسوف تتلاشى كفقاعات الهواء فوق سطح الماء ، ولكن بعد أن تخلف بعض الرواسب الضارة والشوائب الرديئة فى الوجدان القومى والإحساس الاجتماعى ، بحكم أنها جريمة من الجرائم التى تحدث فى المجتمع .

* * *

الانحراف اللغوى

[إن دلالة التدنى اللغوى لا تتوقف عند مجرد الصياغة والتعبير ، وإنما تتجاوزه إلى دلالة حضارية تنبىء عن خطر كبير أصاب العقل المفكر الذى يصوغ حياة الناس ويعالج مشكلاتهم ، ويرسم طريقهم إلى الغد]

جمـال مستمر ..

قضية اللغة فى الاستخدام الفنى الدرامى والغنائى ذات أبعاد عديدة ومتشعبة ، وتحتاج إلى دراسة طويلة ومتعمقة ، تستقصى عوامل السلب والإيجاب التى طرأت على اللغة وأثرت فيها تحت الظروف المختلفة . وفى هذه العجالة نحاول بقدر الإمكان أن نقف على أبرز النقاط التى تصلح مدخلًا لهذه الدراسة ليرى القارىء العلاقة الوثيقة التى تربط بين اللغة بعامة ، والفنون التشخيصية والغنائية بخاصة .. ولعله من المفيد هنا أن نذكر بأن فن العربية الأول ، وهو الشعر ، قد اعتمد على الكلمة التى هى أساس اللغة وبنيتها الأولى .. ومن خلال التشكيل بها استطاع أن يناغى الوجدان العربى ، ويشبع العاطفة العربية طوال ستة عشر قرناً أو يزيد .. ومن خلال الكلمة أحس الإنسان المتذوق للعربية بالجمال والفن والمتعة العظيمة ، قبل أن يعرف فنون التشخيص والتمثيل .

اللغة إذاً عنصر أساسى فى عملية الإمتاع الفنى بالنسبة للعربى قبل أى عنصر ، وهى مصدر رئيسى من مصادر الجمال كله .. وقبل ذلك وبعده كانت محل الإعجاز الذى أثبت صدق الدين الجديد « الإسلام » يوم مجيئه للعرب الذين استطاعوا « بالكلمة » أو « باللغة » أن يصلوا إلى مستوى غير مسبوق فى الفصاحة والبيان والتعبير ، فجاء « القرآن الكريم » ليعجزهم ، ويثبت قصورهم ، يوقفهم مبهورين أو مشدوهين أمام هذا الأداء اللغوى الذى لم يعرفوه قبلًا .. وسر الإعجاز أنه وصل إلى درجة من الجمال التعبيرى لم يتذوقوه ، ثم إنه جمال مستمر لا يتناقص مع مرور الأيام ولا يتراجع .

* * *

الصـــورة المثلى ..

والكلمة فى الوجدان الاجتماعى العربى مناط الرقى الفنى ، ليس للمتعلم وحده ولكن لغير المتعلم أيضاً ، فقد صار إحساس الجميع بها ـ وبخاصة من خلال القرآن ـ يمثل حالة حضارية متصلة بالنسيج السلوكى قبل النسيج

التعبيرى فى المجتمع ، ولعل هذا ما يدفع الرجل العادى حين يستمع إلى القرآن وهو يتلى أن يقول : الله .. الله .. تعبيراً عن إعجابه واستمتاعه بالرغم من أنه قد يكون غير مستوعب للمعنى أو لمضمون الآيات .

وفى مراحل الضعف الحضارى التى ألمت بالأمة العربية كان القرآن الكريم هو الصورة المثلى التى حفظت اللغة من الانهيار والتردى ، بالرغم مما أصاب الأدب شعراً ونثراً من جفاف وجمود وهبوط ، وقد ظل القرآن الصورة النموذج التى تحفظ الجمال والفن والمتعة بالنسبة للغة ، فضلًا عن الإعجاز الدائم والمستمر .. ويوم نهضت الأمة ، ونهض معها أسلوب التعبير كان القرآن مصدراً لهذا النهوض وبقى كذلك إلى يومنا ، وسيظل إلى ما شاء الله .. وكان من المتوقع مع التطور الحضارى الهائل والانتشار الكبير الذى حققته وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، أن تكون اللغة قد حققت تطوراً مماثلًا وانتشاراً على المستوى ذاته .. ولكن المسألة اختلفت .. بل جرى عكس ما كان مفروضاً أو متوقعاً أن يحدث ، وصارت التقنية الإعلامية المتقدمة وسيلة خطيرة لنشر العاميات والإسفاف والابتذال والسوقى من الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات .

* * *

معجـــم ردىء ..

إن بسطاء الناس والأميين حين يستمعون إلى نشرة الأخبار فى الإذاعة أو التلفزة مثلًا فإنهم يفهمون المعنى والمضمون الذى تتحدث عنه النشرة ، ثم إنهم – وهو المهم – يتأثرون بلغتها الفصحى ، ويكتسبون ثروة معجمية جديدة ترفع من مستواهم اللغوى والتعبيرى ، وهو ما لاحظه الدارسون الميدانيون فى مجال علم اللغة .. ولكن الأمر يبدو مثيراً للأسى والغضب ، حين نعلم أن هؤلاء الناس يكتسبون الآن ثروة لفظية وتعبيرية رديئة قوامها العامية والإسفاف والابتذال والسوقية ، بسبب الإلحاح على إذاعة الأغانى والتمثيليات والمسلسلات والمسرحيات والأفلام التى تصاغ بلهجة دارجة مسفة ومبتذلة وسوقية ! إن تأثير هذه المواد ينسف فى طريقه ما يكتسبه

الناس من لغة فصحى راقية ، ويبقى على معجم ردىء ، ومنطق سقيم ، وتعبير ركيك .. مع ما يصحب ذلك من تأثير سلوكى وخلقى متدين ، نتيجة للمفاهيم والمضامين التى تعرض وتذاع .

التـــدنى اللغوى ..

لقد وصل التدنى اللغوى فى الأعمال الفنية إلى كافة العناصر اللغوية المكونة لها ، بدءاً من العناوين إلى المضامين .. ودلالة التدنى اللغوى لا تتوقف عند مجرد الصياغة والتعبير ، وإنما تتجاوزه إلى دلالة حضارية تنبىء عن خطر كبير أصاب العقل المفكر الذى يصوغ حياة الناس ويعالج مشكلاتهم ، ويرسم طريقهم إلى الغد . إن الدلالة الحضارية هنا تعنى أن الخواء الفكرى صار السمة التى تحكم الواقع وتسيره ، وهو ما يعنى أن العقم والجمود والتخلف والجهل وغيرها من الأمراض الحضارية ستقضى على مستقبل الأمة قضاء مبرماً ، حيث لا يبقى هنالك أثر لعقيدة ، أو منهج ، أو إرادة ، أو تصور أو رغبة فى بناء الحياة .

إن عناوين الأعمال الفنية التى نطالعها فى الصحف أو على لافتات الإعلان تؤكد على إسقاط القوم للغة العربية الفصحى ، وإيثارهم للعامية المبتذلة بكل ما توحى به من دلالات رخيصة وغير كريمة .. وإذا حدث واستخدموا الفصحى ، فإن المعنى يكون باعثاً على الغرابة وأشياء أخرى .. وها هى عينة عشوائية من عناوين بعض الأفلام ـ ويلاحظ أن معظمها أجنبى ـ وكلها مأخوذة عن عدد واحد من صحيفة واحدة [الأهرام ١٩٩١/١٠/١٤] . تقول العناوين : [الشبح ـ اللعب مع الكبار ـ السفاح والمراهق ـ المزاج ـ قاهر الإجرام ـ سيف العدالة ـ مادونا والرجال ـ أنا .. وماما .. وترافولتا ـ التمثال الملعون ـ الرقص مع الذئاب ـ درب الرهبة ـ العودة إلى المستقبل ـ القبضة الثائرة ـ الكيت كات ـ لا استسلام حتى الموت ـ عصر القوة ـ امرأة جميلة ـ ٢٤ ساعة حب ـ السقوط ـ أوقات للحب ـ تحدى الأبطال ـ قاهر الوحوش ـ رغبة متوحشة ـ المقاتل الجبار ـ الجبلاوى ـ شياطين الظلام ـ الراعى والنساء ـ عنتر شايل سيفه ـ المخطوفة ...] .

الجـــرحى نفسياً و ...

وكما نرى فإن معظم العناوين تعزف على وتر العنف أو الدم أو الجنس فدلالتها هنا دلالة الابتزاز والغواية ومخاطبة الجانب الغريزى فى الناس قبل أية قيمة إنسانية عليا .. ويمكن أن نقيس على ذلك بقية العناوين الأخرى لمعظم الأعمال الدرامية أو المسرحية والتى لا نستطيع أن نحصيها ، فكلها تصب فى هذا الاتجاه ، أو عند ذلك المحيط الذى لا يعيش فيه البشر الأسوياء ، وإنما تعيش فيه أنماط أو نماذج من البشر الجرحى نفسياً وخلقياً وسلوكياً ـ إن صح التعبير ـ ولا يوجد بينهم سوىّ النفس ، أو مستقيم الخلق ، أو صحيح السلوك ، إلا نادراً .

* * *

الحـــوار والضحك ..

وإذا كان العنوان المنحرف لغوياً دليلًا على مضمونه المنحرف سلوكياً ، فى الغالب ، فإن الحوار الذى يجرى بين شخوص العمل الفنى ، قد هبط وتدنى إلى مستوى لم يسبق له مثيل من قبل . كان الناس يشكون من قبح المناظر الجنسية ، وبشاعة المشاهد الدموية عادة .. ولكنهم الآن أضافوا إلى شكواهم اللغة الفجة التى تتم بين شخوص الأفلام والمسرحيات والتمثيليات .. إنها لغة جنسية عارية وفاضحة يستحى الإنسان السوى أن يسمعها أو يراها متداولة على مرأى ومسمع من أهله أو أسرته أو عائلته .. ثم إن القوم تمادوا إلى أبعد من ذلك حين أخذوا يتبادلون النكات الفاحشة على المسرح لاستجلاب الضحك ورضا الجمهور !! وكأن الضحك لا يتم إلا بالبذاءة وخدش الحياء وابتزاز غرائز الجمهور !! ثم إنهم بعد ذلك وقبله استباحوا لأنفسهم أن يكون سبُّ الأم والأب سمة رئيسية من سمات الحوار الذى يضحك المشاهدين ، أو يكشف عن طبيعة العلاقة الطبقية أو الاجتماعية بين المتحاورين .. وأظن أن الواقع الاجتماعى أضحى يرفض هذه السمة رفضاً باتاً ، ولا أعتقد أن هنالك من الأشخاص ـ أياً كان مستواه

الاجتماعى – من يقبل أو يرضى أن تكون طبيعة الحوار بينه وبين الآخرين قائمة فى الواقع على سب الأم أو الأب دون أن يكون لذلك رد فعل ما .

* * *

إيذاء الأجيـــال ..

إن خطورة الحوار البذىء تتجاوز إيذاء الأسماع والأبصار إلى إيذاء الأجيال الجديدة من أبنائنا وبناتنا ، فهو يصب فى أعماقهم ليشكل واقعاً لغوياً كريهاً وقبيحاً ، فحين يرى الولد أو البنت عبر الأعمال الفنية صورة الحوار بين الأب والأم على نحو مقزز وشنيع ، يستخدم فيه كل طرف أبشع مالديه من الألفاظ والعبارات فى مواجهة الآخرين فإن الحياة تسود فى عينه لأن محضنه قد صار مليئاً بالأشواك وقطع الزجاج المكسورة والحادة ، ثم إنه بالتالى لايجد مفراً من استخدام القاموس ذاته والتعبير به فى مواجهة الآخرين .. وأعتقد أن هذه جريمة كبرى فى حق الأجيال الجديدة ، وحق اللغة الموروثة جميعاً .

ثم إن أهل الفن يصرون فى العديد من الأفلام والمسرحيات وربما التمثيليات على تقديم نموذج المرأة « الرداحة » أو الشتامة ، التى تبرز مواهبها فى كيل السباب والبذاءات للآخرين ، بل إن بعض الممثلات تأخذهن النشوة أحياناً فيتبارين فى « الردح » وبخاصة على المسرح دون مبرر فنى أو موضوعى ، وكأن الحياة الاجتماعية كلها قائمة على السب والشتم والبذاء !!.

* * *

واقـــع دميـــم ..

إن الواقعية – كما يفترض – تنقل الواقع كما هو ، ولكن أهل الفن يخترعون واقعاً لغوياً دميماً لا وجود له على الأرض أو الواقع الحقيقى ، فيروجون للغة قبيحة لا يوجد سبب لوجودها أصلا . كان الواقع يفرض عليهم أن يرتفعوا باللغة ويرقوا بمستواها ، وبخاصة أن الإنسان العربى العادى

يتفاعل مع نشرات الأخبار التى تذاع بالفصحى ، ويكتسب منها معجماً لغوياً جيداً وراقياً .. كما سبقت الإشارة .. ولكن يبدو أن منهج التجارة الحرام لم يترك لهم سبيلًا غير تلويث كل ما هو قيم ومضىء مما تبقى من ميراثنا .

* * *

لغـــة تاريخيـــة ..

ولعل القارىء يتساءل : ألا يحاول أهل الفن أن يقدموا الفصحى من خلال أعمالهم ؟ .

والجواب : بلى !.. إنهم يقدمونها ، ولكن بالصورة المنفرة والشاذة والمتنطعة التى يؤديها عادة « المأذون » وهو يعقد القران أو يوثق الطلاق بين الأزواج ، وطريقته أشهر من أن تعرف ، فهى معروفة لدى كل من يشاهد الأفلام أو المسرحيات أو التمثيليات .

ونستطيع أن نقيس على ذلك صورة مدرس اللغة العربية الذى يبدو فى تنطعه عند أهل الفن مثالًا للشذوذ والسخف والافتعال غير مسبوق . ترى ماذا يريدون من وراء ذلك ؟ اسألوهم إن كانوا يجيبون !.

وللإنصاف نقول إن هنالك تجارب جيدة فى مجال استخدام العربية الفصحى ولكنها ارتبطت غالباً بالمسلسلات أو الأفلام التاريخية التى تتناول أحداث التاريخ الإسلامى وقصصه . حقق بعضها الامتياز ، والبعض الآخر وقف عند حدود لا بأس بها ، ولكنها تظل فى كل الأحوال قليلة ، وترتبط فى الأذهان بالماضى والدين ، مما يرسب فى الأفكار والعقول أن اللغة الفصحى لغة تاريخية دينية ، وليست لغة حاضر أو مستقبل .. وهنا مكمن الخطورة لأنه يخلق إحساساً عاماً يرفض الفصحى وينبذها ، فى الوقت الذى يقوم فيه اليهود على أرض فلسطين المحتلة بإنتاج مسلسلات ومسرحيات وأفلام معاصرة بالعبرية (الفصحى) تأكيداً على هويتهم التى يختلقونها من أضابير التاريخ والأساطير !! .

* * *

شيء من الحيـــاء ..

كان أهـل الفن قبل نصف قرن من الزمان ينتمون عادة إلى فئات متواضعة علمياً وثقافياً ، واجتماعياً ، وكانت أعمالهم موضع نقد جاد وحاد ولكنها بالمقارنة مع مايقدم لنا اليوم تبدو وكأنها لاتمت إلى الواقع الفنى المعاصر ، حيث لا تحمل ذلك الكم الهائل من السب والإسفاف والابتذال والبذاء الذى يصك أسماعنا ويعشى أبصارنا فى الأعمال الفنية الراهنة ، والتى يقدمها متعلمون ومثقفون ، وأغنياء إلى حد الترف والسفه !! .

ولعل ذلك يرجع إلى أن أهل الزمن القديم كانوا بالرغم من بساطتهم وتواضعهم وأخطائهم يحملون شيئاً من روح الدين ، وكان لديهم شيء من الحياء ، ولذا كانت أعمالهم تحمل بصورة ما معنى شريفاً ومضموناً إنسانياً ، وكانت لغتهم تعبر عن هذا المضمون وذلك المعنى .. ولم نر الإسفاف والهبوط والخروج عن النص ، كما لم يكن لهم عهد بذلك المعجم البذىء القبيح الذى ليس له مثيل فى أى عهد ، كانت الألفاظ نظيفة ، والتعبيرات مهذبة ، والحوار راقياً ، واللغة لا تخدش الحياء .. فلماذا يمرغ أهل زماننا لغتنا فى أوحال القبح والدمامة ؟ .

اسألوهم إن كانوا ينطقون ! وعلى كل حال ، فنحن نعلم الإجابة كاملة .

* * *

الإدانة من الفن

[.. الشعوب الإسلامية خسرت كثيراً ، وأصيبت فى وجدانها وفطرتها وروحها ، حيث عم التلوث الفكرى ، وانتعشت الجريمة الدامية وغير الدامية ، وتحطمت العلاقات الإنسانية فى أكثر من صورة بسبب الهبوط والتدنى فى الأعمال الفنية ..]

التلوث الفكرى ..

الصورة العامة الآن للواقع الفنى صورة قاتمة وسوداء ، وآثمة ـ إن صح التعبير ـ فهى تتحدث بكل وضوح وصراحة عن مأساة صنعها أهل الفن بأنفسهم ضد أمتهم وأوطانهم وشعوبهم ، فكانت الخسارة الحضارية فادحة وكبيرة ، وكانت مكاسب أهل الفن المالية والمادية عظيمة وكبيرة .. الشعوب الإسلامية خسرت كثيراً وأصيبت فى وجدانها وفطرتها وروحها ، حيث عم التلوث الفكرى ، وانتعشت الجريمة الدامية وغير الدامية ، وتحطمت العلاقات الإنسانية فى أكثر من صورة بسبب الهبوط والتدنى فى الأعمال الفنية . أما أهل الفن فقد تضخمت ثرواتهم وعاشوا فى بذخ غير مسبوق ، وامتلكوا المساكن الفاخرة ، والسيارات الفارهة ، واستوردوا الملابس من باريس ولندن ونيويورك ، حيث أشهر محلات الموضة والأزياء ، كما اقتنوا الكلاب والحيوانات التى شبعت من اللحوم الطازجة ، بينما يوجد بجوارهم آدميون يسكنون المقابر والعشش والبيوت المعتمة ، ولايجدون رغيف الخبز إلا بشق الأنفس . وهذا ليس حقداً على أهل الفن الأغنياء ، فنحن نتمنى لهم المزيد من الغنى شرط أن يكون مصدره حلالًا ، فالغنى الحلال يخدم المجتمع غالباً ، وأصحابه يملكون أنفساً خيرة عادة ، وميالة إلى الخير والإحسان والتعاطف فى معظم الأحوال .. أما الغنى الحرام فهو ما يثير النفس ، ويهز القلب ، ويجرح الإحساس ، وبخاصة إذا جاء هذا الغنى على أشلاء قيمنا وأخلاقنا ، وتدمير أبنائنا وبناتنا ، وتشويه أمتنا وشعوبنا ، فضلا عن الاستهتار الفاجر بالعقيدة والشريعة .

* * *

الإدانة والبــراء ..

المفارقة التى تحكم هذه الصورة العامة الآن للواقع الفنى ، هى أن جميع أهل الفن ـــ على الأقل الذين قرأنا آراءهم وسمعنا تصريحاتهم ـ يؤكدون على الهبوط والتدنى فى الأعمال الفنية المعروضة ، ويتطوعون بإدانتها والتبرؤ

منها واستنكارها مع إخلاء مسئوليتهم عن المشاركة والإسهام فيها .. والسؤال الذى يحكم المفارقة هو : من الذى فعلها إذاً ؟ أو من الذى ارتكب جريمة الهبوط والتدنى ؟.

فى متابعتى لما يقوله أهل الفن على اختلاف أجيالهم ووظائفهم ، لم أجد من يقول أو يعترف بأنه شارك فى الأعمال الفنية الآثمة ، وأنه يتحمل ولو جزءًا من المسئولية عن الفن الآثم .. الأغلبية العظمى تلقى بالمسئولية على من يسمونهم « تجار الخردة » [المخلفات القديمة] ، ويعدونهم سبب البلاء العظيم الذى أصاب الفنون التمثيلية والاستعراضية والغنائية التى يقدمونها للناس ، وتصيبهم بالبلاء الخلقى ، والتسطيح الفكرى ، والانحراف السلوكى ، وفقدان القدوة والمثل الذى يحتذى فى القول والفعل والحوار والسلوك .

ولكى لا يكون الكلام عاماً أو مرسلًا ، فسوف أنقل ها هنا آراء بعض المشتغلين بالفن من عينات مختلفة وأجيال مختلفة وتصورات مختلفة ، ونتأمل بعدئذ طبيعة المفارقة العجيبة والغريبة التى تحكم الصورة العامة للفن العتيد .. مع تحفظاتنا بالطبع على آرائهم وتصوراتهم وأفكارهم التى تتصادم مع إيماننا وعقيدتنا .

* * *

المحترمون والمحترمات ..

تتحدث « عفاف شعيب » ــ ممثلة ــ عن نفسها وارتباطها بالمبادىء والقيم والأخلاق ، وتمتدح فريقاً من الفنانين المحترمين كما تسميهم ، مع رفضها فى الوقت نفسه لموجة الأفلام السوقية السائدة ، وتقول : « إننى أتمسك بالعديد من المثل والمبادىء وأعتبر نفسى قدوة للقادمات من بعدى . ولاشك فى أن الوسط الفنى مليء بالمحترمين والمحترمات ممن يقدمون الأعمال الهادفة التى تصلح من شأن الجماهير وحالها ، وهذا ينبع من داخلهم ومن نفوسهم المليئة بالحب والخير . لكن موجة الأفلام السوقية التى تثير الغرائز وتخرج عن حدود المعقول وتحطم تقاليدنا الشرقية والإسلامية.. هذه الأفلام

لاشك أنها تسىء إلى الفن عامة وتجعل الناس تطالب بتحريمه » [الوطن العربى ، باريس : العدد : ٢٢٧ ـ ٧٥٣ ، الجمعة ١٩٩١/٧/٢٦] .

ثم تجيب « عفاف شعيب » عن سؤال آخر لصحيفة أخرى حول إمكاناتها الفنية ولماذا لم تستغلها حتى تصل إلى النجومية ، فتقول : « لأنى بعيدة عن الحفلات الخاصة والتجمعات والشلل وجلسات القيل والقال » وحين سألتها الصحيفة عن سبب رفضها للقبلات فى أعمالها الفنية ، قالت : « نعم أرفض القبلة أو اللمس أو أى شىء من هذا القبيل » [السياسة الكويتية ١٩٩١/١٠/٢٤] .

* * *

مسرحيـــة نظيفــة ..

أما « هالة صدقى » ـ ممثلة أيضاً ـ فتتحدث عن إحدى المسرحيات التى تعمل بها ، وتفسر سر عدم الإقبال عليها من قبل الجمهور ، فتقول : « السبب الأساسى فى اعتقادى أن المسرحية نظيفة جداً عكس المسرحيات المعروضة التى معظمها ينتمى لمسرح الكباريه والملاهى الليلية والألفاظ الخارجة التى تجرح المشاعر وتعتمد على العرى والإسفاف » [جريدة الصباحية ، لندن وجدة ١٩٩١/١٠/٢٦] .

* * *

إنى أشجب ..!!

ويتحدث « سيد زيان » ـ ممثل ـ عن المسرح الخاص والمستوى الذى هبط إليه :

« إن تجارية هذا المسرح الخاص ينبغى ألا تخضع لدغدغة مشاعر الجمهور وخدش حيائه بالإفيهات الجنسية والإسقاطات البشعة » ويضيف : « إنى أشجب هذه الظاهرة بعنف فالفنان قدوة بالدرجة الأولى ، ولا سبيل للقضاء عليها إلا بالإعراض عن المسرحيات الهابطة من جهة ، واعتقال هؤلاء المارقين على الآداب العامة لأن خطورتهم لا تقل خطورة عن تجارة الهيروين والسموم البيضاء » [اليمامة ، الرياض العدد ١١٨٠ ، ٧ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ ، ص ٦٨] .

لست قليلة الأدب ..!!

أما « سعاد نصر » ـ ممثلة ـ فتحاول الدفاع عن نفسها بحكم أنها من أكثر المتهمات بالخروج على النص فى العروض المسرحية إلى حد الشطط ، والمثول أمام النيابة العامة كما حدث فى أثناء عرض إحدى المسرحيات ، تقول : « افهمونى أنا لست ممثلة قليلة الأدب ، فأنا فى المقام الأول إنسانة ملتزمة وأم .. فالمشكلة تعود إلى موافقتى على تقديم شخصيات درامية قد تكون ذات طبيعة أخلاقية معينة .. » وتضيف « سعاد نصر » : « إن ظاهرة الخروج على الآداب فى مسرح القطاع الخاص موجودة ومن الضرورى الوقوف على مسبباتها ، ثم نتكلم بعد ذلك عن كيفية القضاء عليها » [المصدر السابق ص ٦٨] .

* * *

المسألة فى أصولها !!

وهناك من يحاول أن يعطى القضية بعداً آخر مثل « عادل إمام » ـ ممثل ـ الذى يقر ويعترف أن الممثل هو المسئول الأول عن ظاهرة الخروج على الآداب العامة فوق خشبة المسرح ، لأن النصوص ـ فى رأيه ـ لا يمكن أن تكون قبل عرضها بهذه الصورة الوقحة على الإطلاق ، ثم يزعم أن « المسألة فى أصولها تعود إلى قضية تغييب الفكر واغتيال صنَّاعه .. » [نفسه ص ٦٧] .

* * *

تحـــول إلى كباريه !!

وتجيب « ليلى طاهر » ـ ممثلة ـ عن سؤال « صانع النجوم » وهل انتهى عصره، بقولها : « صانع النجوم انتهى مع رمسيس نجيب .. انتهى مع نهاية عصر المنتجين وبداية عصر التجار .. ففى هذا العصر الفن أصبح تجارة فقط .. لا يهم المستوى الفنى لما يقدم من أعمال . هناك نجم شباك يبيع العمل فقط هذا ما ينظر إليه المنتجون ! » .

وتضيف « ليلى طاهر » فى موضع آخر من حديثها : « أما القطاع الخاص فسبق أن ذكرت بأنه لا يتفق مع ميولى ، وكل ما يقدم الآن أنا غير راضية عنه ، فمسرح القطاع الخاص تحول إلى « كباريه » وأنا فنانة ملتزمة » [جريدة الصباحية ١٩٩١/١١/٣] .

وفى سياق الحديث عن بعض الظواهر الفنية السائدة الآن فى الواقع الفنى ، يقول « محمد صبحى » ـ ممثل ـ إنه يرفض انتقال نجوم السينما إلى المسرح « خاصة بعدما اقتحم عالم السينما فئة « التجار والسماسرة » للبحث عن الربح المادى بعيداً عن تقديم فن رفيع راق .. والنتيجة أن هؤلاء التجار أفسدوا السينما ويحاولون من خلال دفع نجوم السينما إلى إفساد المسرح وتدميره لكى يلحق بالسينما ، ولا يقدم هو الآخر الفن الذى نسعى إليه .. ونحاول أن نثبت أقدامه بتقديم الفكر الجيد » [الصباحية ١٩٩١/١١/٤] .

* * *

يبـــدأ فى العاشرة ..

وتقول « هندرستم » ـ ممثلة معتزلة ـ عن الفرق بين مستوى الفيلم المصرى فى الستينيات والفيلم المصرى الآن : « سينما الستينيات والسبعينيات كانت سينما الفن للفن .. أما الفيلم المصرى فى الوقت الحالى .. فأنا أشعر أنه فيلم تجارى .. أكثر منه فنى .. فقد أصبح ٩٩ فى المائة من المنتجين الحاليين السينما بالنسبة لهم تجارة وليست فناً أو رسالة » .

وعن أسباب رفضها العديد من المسلسلات التلفزيونية تقول « هند رستم » بلهجتها العامية : « مفيش حاجة شجعتنى أو شدتنى فى الموضوعات التى عرضت علىّ .. لكننى فى سبيل العثور على نص جيد لأقدمه للشاشة الصغيرة قريباً » .

وتجيب عن سؤال حول مستوى المسرح المصرى فى الوقت الحالى : بقولها :

« أنا لا أرى جميع المسرحيات .. لأن المسرح عندنا يبدأ فى العاشرة

مساء ، وينتهى فى الثالثة صباحاً .. (وتشير إلى مسرحية أعجبتها ثم تقول :) أما إعلانات المسرحيات التى أشاهدها فى التلفزيون فلابد من إلغائها فوراً لأنها تسيء إلى المسرح » [جريدة الوفد ١٩٩١/١٠/١٧] .

ويقول « محمد نوح » ـ مطرب وملحن وممثل ـ : « إن حركة الفيلم الغنائى والاستعراضى التى بدأت فى الثلاثينيات وانتهت فى بدايات الستينيات حقيقة مؤكدة (...) ، وما يحدث الآن من حشر للأغانى الهابطة والاستعراضات التافهة التى تقدم على الشاشة المصرية يشكل تياراً مستمراً من الهبوط والسذاجة ودغدغة مشاعر وغرائز طبقة بعينها حظها قليل من التعليم والثقافة ولكنها تمتلك المال » [الوفد ١٩٩١/١٠/١٧] .

* * *

تجــار الخــردة ..

وتفسر « نجلاء فتحى » ـ ممثلة ومنتجة ـ سبب دخولها مع مجموعة من الفنانين إلى مجال الإنتاج بأن ذلك سيؤدى إلى التنافس بين الفنانين المنتجين ، وأنه سوف يقلل من عدد تجار الخردة المنتجين الذين لا صلة لهم بالفن » [الصباحية ١٩٩١/١٠/٢٨] .

وعن ظاهرة انتشار الأسماء الغريبة للأفلام ، يقول « كمال الشناوى » ـ ممثل ـ : « لقد قتلوا كل ما هو جميل فى الفن .. بحيث أصبحت أفلام الجريمة هى المسيطرة ، فانعكس هذا على المجتمع .. وأصبحت الأفلام الرومانسية لا وجود لها .. ما معنى ملوخية بالأرانب .. ومكرونة بالصلصة . لقد قتل تجار الفن .. شكل الفن واحترام الفن .. وأصبحت أفلامنا مثل الشحاذ الذى يربط ذراعة ورجله لكى يستدر عطف الناس » .

ويعلق « كمال الشناوى » على الواقع الفنى السيىء والمتعفن » : « وصدقنى فأنا أحياناً أشعر بالندم لاشتغالى بالفن .. » .

وعن سبب رفضه العمل فى المسرح يقول « كمال الشناوى » : إنه رفض « التسيب الذى حدث بالخروج المستمر على النص .. فلقد أصبح المسرح المصرى مسرحاً تجارياً لسلب ونهب المتفرج .. ولا يستطيع إصلاح مسار المسرح إلا صحوة مسرح الدولة » [الوفد ١٩٩١/١١/٧] .

وحول ظاهرة تكرار الموضوعات فى معظم الأفلام يجيب : « عادل أدهم » ـ ممثل ـ بلهجة عامية تقول :

« لأن السينما أصبحت تجارة .. الكل بيجرى وراء الرابحة .. زى الموضة .. فيه ناس بتلبس اللى يناسبها ويناسب تقاليدها .. وفيه ناس بتقوم بالتقليد بمجرد السير مع الموضة .. وفى السينما يقولون أنا كتاجر جديد معنديش النية لتقديم سينما .. الآن يوجد منتجون .. لا أعرفهم ولا أعرف أسماءهم .. وهؤلاء يعملون بالسينما تحت شعار .. التجارة شطارة حتى لو كانت بالصلصة » [الوفد ١٩٩١/١١/١٤] .

* * *

الشرطة والنيابة ..

ويعلق « مأمون الشناوى » ـ مؤلف أغانٍ ـ على الوضع السائد للأغانى التى تذاع على الجمهور بقوله : « ما نسمعه اليوم ، كلمة ولحناً ، لا يمت للغناء الجميل بأدنى صلة ، وليس أفضل فى التعامل مع أولئك الذين يصدعون رؤوسنا ليل نهار بالصياح ، ليس أفضل من أقسام الشرطة والنيابة ! » ـ يقصد تقديم المطربين الذين يؤدون الأغانى إلى الشرطة والنيابة لمعاقبتهم قانونياً ـ ويضيف موضحاً رأيه قائلًا : « نعم النيابة ، وأكاد أقول أكثر من ذلك ، لأن ما يحدث إفساد للذوق العام ، وتشويه للأذن المصرية ، وتلويث لكل شىء جميل .. فليس هناك أحقر من هذه الكلمات التى نسمعها كل ساعة فى الشارع وفى أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة ولا أعرف كيف تسمح لجنة النصوص بالإذاعة والتليفزيون بإجازة وتمرير مثل هذا الهبوط والانحطاط » [الوفد ١٩٩١/١١/١٤] .

* * *

مؤلف شباك تذاكر ..

وأنقل الآن ما ورد فى إحدى الصحف حول المؤلف السينمائى والمسرحى « سمير عبد العظيم » ـ وهو مذيع ومؤلف ومخرج إذاعى أيضاً ـ حيث تصفه الصحيفة بأنه كاتب منتشر تحقق أعماله فى السينما

والمسرح أعلى الإيرادات ، وفى الإذاعة أعلى كثافة فى الاستماع طبقاً لتقارير المتابعة فى اتحاد الإذاعة والتلفزيون .. وتضيف الصحيفة إلى ذلك قولها : « يهاجمه الكثير بأن أعماله تخلو من القيم الفنية .. » ثم تنقل الصحيفة دفاع « سمير عبد العظيم » عن نفسه فتقول : « وينفى سمير عبد العظيم أن أعماله خالية من أى قيم فنية ويوضح رأيه قائلاً : ما هى القيمة عندما تقدم عملاً يثنى عليه النقاد والمثقفون ثم لا يقبل عليه الجمهور . معنى ذلك أن الرسالة الفنية لم تصل . إن هناك فرقاً بين عمل فنى يحقق نجاحاً مؤقتاً وعمل آخر يظل محافظاً على نجاحه وقد يقبل الجمهور على عمل دون المستوى ، ولكن هذا الإقبال سوف يستمر لمدة أيام أو أسابيع وبعد ذلك سوف يحجم الجمهور تماماً عن تلك الأعمال . ويقول : أنا أرفض الوصاية التى يحاول أن يفرضها البعض على الجمهور .. ويقول : إنه مؤلف شباك تذاكر !.

وحول هجوم بعض النقاد على مسرحيته الأخيرة لخروج بعض النجوم عن الحوار يقول سمير عبد العظيم : أنا أمارس رقابة صارمة على نفسى ومعى رقابة لا شعورية أنا شخصياً لا أدركها ، لأن مشوارى الفنى فى الكتابة والإخراج الإذاعى ، والمخرج فى الإذاعة لا رقيب إلا ضميره ، وهو يخاطب الآلاف والملايين من المستمعين ، ولهذا فأنا كرجل إعلامى أمارس الالتزام فى كل أعمالى الفنية » [الشرق الأوسط ، لندن ، جدة ١٩٩١/١١/١٦] .

* * *

من المتهم إذاً ..!

بعد هذه الآراء والأقوال التى لم ينفها أحد ، ولم يكذبها أحد ، ولم يتهمها أحد .. نسأل مرة أخرى ، ونقول : من الذى فعلها ؟ أو من الذى ارتكب جريمة الهبوط والتدنى ؟ .

إن المفارقة التى تحكم الصورة العامة للفن الراهن ما زالت قائمة ، فإذا كان جميع أهل الفن يعلنون براءتهم كما رأينا سلفاً ، فمن المتهم إذاً .

إن معظم أصحاب هذه الآراء متهمون أساسيون لأنهم شاركوا فى هذه

الأعمال وساعدوا على ظهورها وتقديمها للناس ، ولا يحتجن أحد منهم بأن « أكل العيش » أو ضرورات الحياة حتمت عليهم المشاركة والعمل ، فالرزق الحرام مسموم ولا يشبع من جوع ، وقد تعلمنا منذ زمان أن الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها ، وأن ما تجلبه الريح تأخذه العواصف !.

إن الفنان أو الفنانة الذى لا يجد عملًا جيداً يقدم من خلاله خدمة للأمة أو يستخرج كوامن إبداعها وتقدمها ورقيها ، خير له ألف مرة ، أن يتكفف الناس بدلًا من الإجرام فى حق الأجيال الغضة والشباب الطالع ، بأعمال هابطة ، ورؤى مشوشة ، وتصورات آثمة : تدمر ولا تبنى ، تهدم ولا تعمر ، تفضح ولا تستر .

* * *

المزيد من الحرام ..

وإذا كان الممثلون والمؤلفون والمهنيون الآخرون فى دنيا الفن متهمين بلا ريب فى المشاركة بتقديم الأعمال الفنية الهابطة إلى الجمهور فإن الاتهام الأكبر يظل معلقاً فى رقاب المنتجين والمخرجين ، فالأولون أصحاب رأس المال الحرام الذى يريدون من ورائه المزيد من الحرام بالأعمال الشاذة والتافهة والمسطحة ، والآخرون أصحاب عملية التنفيذ والتطبيق ، وفى كل الأحوال فهم الذين يسبغون على العمل حجم سطحيته وتفاهته وشذوذه ، أو عمقه وقيمته واعتداله ، ولأن الأعمال الرديئة هى القائمة الآن فى الساحة ، فما ذلك إلا لأن السادة المخرجين يهدفون إلى إرضاء المنتجين (أصحاب رأس المال) كى يكسبوا أكثر ، ويستعينوا بهم فى مرات أخرى .

* * *

شماعة .. مردودة ..

تبقى بعض النقاط التى وردت فى أقوال أهل الفن التى نقلتها حرفياً فيما سبق ، وهى تحتاج إلى مناقشات وحوارات طويلة ، ولكنى أريد التنبيه

إلى ما ورد فى أقوالهم حول « تجارة الخردة » ، فهذه الفئة ـ من وجهة نظرى ـ قد تحملت أكثر من طاقتها حين ألقى عليها وحدها عبء الجريمة أو الإثم الذى يقترفه أهل الفن صباح مساء .. فتاجر الخردة الذى يتاجر فى المخلفات القديمة مثل الحدايد والحبال والهلاهيل وغيرها معذور ، لأنه لا يفقه فى الفن ، وهو لا يدعى ذلك ، ويريد أن يكسب ، فإذا أنفق مبلغاً فإنه يريد أن يسترده مضاعفاً كما يحدث فى تداول الخردة بينه وبين البائع والمشترى . ثم إنه لا يزعم ـ عادة ـ أنه يملك مستوى ثقافياً رفيعاً مثل المخرج والمؤلف والممثل والناقد وبقية الفريق الذى يتقاسم تنفيذ العمل الفنى والترويج له . ولذا أرى أن شماعة « تجار الخردة » مردودة على أهل الفن الذين يشكون من « تجار الخردة » .

بقى أن نعلم أن الأغلبية الساحقة من المنتجين ما زالت تنتمى عملياً إلى « أهل الفن » ، وإلى « عائلات » معروفة تتوارث عملية الإنتاج منذ نشأة الفنون التمثيلية والمصورة حتى الآن .. وهو ما يجعل من « تجار الخردة » مظلومين ، أو يعانون نوعاً من الظلم الذى يُنزله « أهل الفن » بمواطنيهم وشعوبهم وأمتهم !.

إن « الكل » يعترف بالجريمة القائمة فى الواقع الفنى ، ولكنه لا يعترف بأنه مشارك فى ارتكابها وجريرتها ، وهو ما يجعلنا نوقن بأن أهل الفن ليسوا فنانين بقدر ما هم من التجار الذين لا يرقبون عهداً ولا ميثاقاً ، ولا يخشون الله ولا الناس ، ثم إنهم فى النهاية متآمرون على الدين والأخلاق والقيم .

* * *

خاتمة

[.. إننا نعلق الأمل الكبير على يقظة الواعين من مثقفي الأمة وكتابها وأفرادها ، فهؤلاء جميعاً يمكنهم بالتضامن الروحي والعملي أن يحبطوا المؤامرة الرخيصة لتجار الفن ، وتجارة الغرائز ..]

يبدو أننا مضطرون فى ختام هذه الدراسة حول الفن وأهله ـ والتى عالجناها بإيجاز غير مخل ـ إلى طرح سؤال حول الخروج من واقع التجارة الحرام التى مارسها أهل الفن ، وكسبوا من ورائها الثروات الكبيرة والجاه العظيم ، واقترفوا معها الجرائم التى لا تسقط بالتقادم فى حق دينهم وأمتهم وأوطانهم .. السؤال هو : ما العمل ؟ .

والإجابة على هذا السؤال تقتضى أن تكون المعادلة المطروحة فى مجال الفن صحيحة . طرفا المعادلة هما : الإسلام وأهل الفن . أى ان العقيدة = التعبير عنها . فإذا كان الطرف الثانى ليس بحجم الطرف الأول ، أو ليس على مستوى الأهلية للانتماء إلى العقيدة ، فهو فن ساقط وهابط ومدمر .. أما إذا استطاع أن يرتقى إلى مكانة سامية ، ويقوم بتوصيل الروح الإيمانى إلى الأمة دون إسفاف أو ابتذال ، وبغير تشويه أو تخليط ، فإنه يكون بذلك قد اضطلع بمهنته وقام بدوره وأدى رسالته .

لا نستطيع أن نحمل عنصراً من عناصر الطرف الثانى (أهل الفن) المسئولية كاملة ، ولكن جميع العناصر متضامنة فى هذا المجال ، وإن كان بعضها يحمل مسئولية أكبر من غيره بالضرورة .

ولنتفق أولًا : أن أهم عناصر العمل الفنى المؤثرة والفعالة عنصر الإنتاج ، وهو العصب الأساسى وبدونه لا يكون هناك عمل فنى أبداً ، فالإنتاج هو رأس المال وهو الإدارة وهو المتابعة ،ولابد أن يكون رأس المال حلالًا ، وإذا انطلق من هذا المفهوم ، فلن يكون هنالك عائد حرام ، لأنه سينفق فى الحلال ويرجو الحلال .

إن المشكلة الخطيرة التى يصنعها رأس المال الحرام ، هى أنه يفرض نفسه ومفهومه وتصوره من أجل الكسب الحرام ، لا يعنيه الدين ولا الأخلاق ولا القيم . كل همه العائد الكبير والربح الكثير ، لذا فهو لا يعبأ بطرح المفاهيم والتصورات المعادية للعقيدة أو الشريع ، ولا يحترم تراث الأمة ولا تقاليدها ، ولا يخشى على الشباب أو الأطفال ، ولا يكترث لمستقبل الوطن أو الأمة .. ولكنه يطرح ما يحلو له ليجلب ما يطمح إليه غالباً وهو المال ، أو يصبو إليه فى بعض الأحيان وهو تدمير قيم وترسيخ أخرى مكانها .

سبقت الإشارة إلى أن معظم المنتجين الآن لا ينتمون إلى الفكرة

الإسلامية ، بل إن كثيراً منهم من ألد أعدائها وأشدهم ضراوة .. إنهم غالباً يؤمنون بأيديولوجيات مادية أو فكر علمانى ، أو تابعون للنفوذ الغربى سواء من يعملون فى الدائرة الفرانكفونية ، أو الأنجلو سكسونية ، وإلى جانب هؤلاء هناك فريق من التجار الذين تدنى مستواهم الثقافى بحكم عملهم فى تجارة الخردة والمخلفات . ولا يفقهون معنى ترقية وجدان الأمة وتحضرها .. ثم هناك المنتجون الذين ينتمون إلى شرائع غير الإسلام ، وهؤلاء لن يكونوا حريصين على مشاعر المسلمين أو قيم الإسلام ، ولا نستطيع أن نطالبهم بذلك ، بالرغم من أن العرف والذوق والمواطنة والمشاركة الحضارية أو الانتماء الحضارى ، كلها تفرض عليهم أن يراعوا مشاعر الأغلبية وقيمها .. وقد رأينا من منتجاتهم ما يجرح مشاعر المسلمين فى الصميم ويزرى بقيمهم . والقضية الآن ليست الوقوف عند من جرح وأزرى ، ولكنها تعنى ما المطلوب فى مثل هذه الحال ؟ وأتصور أن المطلوب هو وجود المنتج المسلم الذى يخشى الله ، ويجعل من عمله « رسالة » قبل أن يكون « تجارة » فيقدم للأمة نوعية من الأعمال الفنية التى تشحذ همتها وتعبر عن هويتها وتقودها إلى مجال القوة والظفر والرخاء .. وإذا كانت هنالك بعض الشركات أو المؤسسات التي قامت من أجل هذه الغاية ، فنحن نأمل أن تتطور ، وتحقق حلم المسلمين فى فن صالح وصادق وممتع .

ثم لنتفق ثانياً : أن بقية عناصر تنفيذ العمل الفنى تستطيع بالتضامن والإخلاص أن تفرض على المنتجين مستوى يسمو فوق الإسفاف والابتذال والتسطيح . ولا عذر لأى من هذه العناصر بأنه ليس مسئولاً عن غيره ، فالعمل الفنى مسئولية الجميع ، وإذا كنا قد أشرنا إلى أن المسئولية الأولى تقع على عاتق المنتجين بوصفهم أصحاب رأس المال ، فإن الآخرين من مخرجين وممثلين ومؤلفين وغيرهم يستطيعون بالتضامن والتكاتف أن يحولوا مسار العمل الفنى ، ويفرضوا على المنتجين الرقى به إلى آفاق النضج والتكامل والغايات النظيفة .

ثم لنتفق ثالثاً : على أن أجهزة الإعلام تلعب دوراً مهماً فى الترويج للأعمال الفنية أو مقاومتها ، وإن كانت فى الغالب تقوم بالترويج ، وتسويغ الأعمال الهابطة والدعاية لها ، فضلاً عن الدعاية لأهل الفن ومتابعة أخبارهم ونشاطاتهم بطريقة مريبة ، ولا تخفى أبعادها على من يرتبطون بالمجال

الإعلامى ، وبخاصة الصحافة . صحيح أن هنالك بعض الأقلام التى تتصدى من حين لآخر لعمل فنى بالغ السوء والانحطاط ، ولكنها فى كل الأحوال قليلة ، ولا تملك القدرة على الاستمرار عادة .. وتنتهى المقارنة بين الأقلام المروجة والأقلام المقاومة لصالح الأولى لأنها الأغلب والأكثر إلحاحاً والأقوى استمراراً !. وهو ما يجعل العبء على أصحاب الأقلام المقاومة عظيماً ، ولكننا ندعوهم إلى الاستمرار مهما كانت الصعوبات ، ففى ذلك انتصار لمنهج الله ، أيًّا كانت النتائج ، كما ندعو أصحاب الأقلام المروجة إلى تقوى الله ، والخوف من عقابه ، وترك الترويج للأعمال الهابطة والساقطة حرصاً على أجيالنا وأمتنا ومستقبلنا .

لم يعد مقبولًا أن يكون الاهتمام بالنجم الممثل أو النجمة الممثلة على حساب النجم المفكر والنجم العالم والنجم الطبيب والنجم المعلم والنجم الفلاح والنجم العامل ، فهؤلاء هم بناة الأمة الحقيقيون ، وصناعها الأصليون ، ويجب أن يتقدم الاهتمام بهم على من عداهم من القوى أو الطوائف الهامشية التى تعيش عالة على المجتمع ، أو تقوم بدور ترفيهى ثانوى .

إن من الغريب حقاً أن تهتم الصحافة مثلًا بأخبار مهرجان السينما وتفرد له صفحات طوالًا عراضاً ، وتنقل أخبار الممثلة الأجنبية التى استدعيت لتكون ضيف شرف ، وهى مجرد نكرة مغمورة فى بلادها وتمثل النموذج المنحرف والشرير للمرأة فى الأعمال الفنية التى ظهرت خلالها ، فى الوقت الذى تهمل فيه الصحافة أخبار كارثة وطنية تتمثل فى السيول والفيضانات وانهيار السدود التى أغرقت سبعة آلاف فدان مزروعة بالمحاصيل الرئيسية ، وشردت أكثر من خمسين ألفاً من الفلاحين بعد أن أغرقت قراهم وضيعت دوابهم وأتلفت مخزوناتهم ، وجعلت الجميع بلا مأوى تحت وابل الأمطار ، وقصف الرعود ، وزمهرير الشتاء !!.

وليس مقبولًا من الصحافة وأجهزة الإعلام أن تتبنى مشكلة راقصة اختلفت مع زوجها الثرى ، وتتابع أخبار الصلح والخصام ، والطلاق أو عدم الطلاق .. بينما مشكلات الوطن الجادة والعتيدة لا تترك متنفساً لمتنفس ، ولا تحظى بمثل هذا التبنى وتلك المتابعة .

إن المرء ليحار وهو يتابع ذلك السيل المنهمر من المجلات والصفحات

التى تظهر أخبار أهل الفن العامة والخاصة ، الكلية والجزئية والتى تصل إلى أتفه التفاصيل ، من قبيل ما يحبه الفنان من طعام وما يكرهه ، والألوان التى يهواها ومحلات الموضة التي يشترى منها ثيابه .. فى الوقت الذى يموت فيه كبار العلماء والمفكرين ولا تتطوع صحيفة بنشر سطر واحد عنهم ، وفى الوقت الذى لا يستطيع فيه الناس إصدار مجلة إسلامية مهما بذلوا من جهود ، وقدموا من تضحيات ، فضلاً عن تعثر الصحف الإسلامية القائمة ومواجهتها لصعاب خفية وظاهرة .

إن الصحافة وأجهزة الإعلام حين تتخذ موقفاً معادياً لاعتزال بعض الفنانين والفنانات وعودتهم إلى الله تكفيراً عن الأعمال الهابطة التى شاركوا فيها ، وتوبة عن الآثام الفنية التى ارتكبوها ، وانحيازاً إلى منهج الإسلام المضىء فى التربية والسلوك والتصور ، إنما تعاكس تياراً ينسجم مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهو تيار سينتصر فى يوم بإذنه تعالى .

ونحن نناشد أجهزة الإعلام عامة ، والصحافة خاصة ، أن تقف مع تطلعات الأمة وأمانيها ، وأن تكف عن مؤازرة الانحراف الفنى وتأييده والترويج له ، لأن حصاد ذلك خطير وعظيم ، ليس على مستوى أفراد بأعينهم ، وإنما على مستوى الشعوب الإسلامية بأسرها .

ثم لنتفق رابعاً : أن الجهات الرسمية المسئولة يقع على عاتقها عبء كبير فى حسم الموقف تجاه الأعمال الهابطة ، وتراخى هذه الجهات أو تساهلها يشجع على الاستهانة بقيم الأمة وأخلاقها وعقيدتها .. ولذا فإن « الرقابة » يجب أن تضع منهجاً جديداً يتجاوز الأمور المحدودة شكلياً وسياسياً ، إلى النظرة الشاملة العميقة للعمل الفنى ومدى تأثيره على الناس اجتماعياً وثقافياً وتربوياً وسلوكياً .. إلخ ، فإن كان العمل يسعى إلى الارتقاء بالناس سمحوا له ، أما إذا كان يؤثر عليهم بالسلب فينبغى تنحيته ، وتجريم أصحابه قانونياً ، ومعاقبتهم بالعقوبة الرادعة التى تتناسب وحجم الجريمة .

ولا يقولن أحد إن ذلك سيقف حائلاً ضد « الإبداع » أو يفرض وصاية على « المبدعين » فهذا كلام سخيف وسمج ، لأن المبدع الحقيقى لا يصنع عملاً هابطاً أو مبتذلاً أو سوقياً أو سطحياً أو مضاداً لأحلام الأمة وهويتها .

ولست مع الذين يرون أن تقوم الحكومات بتمويل الأعمال الفنية ليمكن تقديم أعمال جيدة ، فالأموال من حق الشعوب ، وحرام أن يستفيد بها من لا يستحقون من أهل الفن ، لأن الرقابة على أعمالهم ستكون ضعيفة ، وستكون الميزانية نهباً مشاعاً حيث لا يمكن التحكم فيها . ومن يريد أن يخدم أمته خدمة حقيقية يستطيع أن يفعل ذلك بماله الذى ينتج به الفن العتيد ـ أعنى الفن الهابط . وجدير بالذكر أن بريطانيا « العظمى » فى عهد « مارجريت تاتشر » رفضت أن تدعم المسرح القومى أو الفرق الفنية القومية بشلن واحد ، لأن مصلحة الشعب واقتصاد الدولة أسبق من أى شيء آخر ، حتى لو كان المسرح القومى وأشباهه .

ومهما يكن من أمر ، فإننا نعلق الأمل الكبير على يقظة الداعين من مثقفي الأمة وكتابها وأفرادها ، فهؤلاء جميعاً يمكنهم بالتضامن الروحى والعملى أن يحبطوا المؤامرة الرخيصة لتجار الفن ، وذلك بمقاطعة الأعمال الهابطة ، والكتابة إلى المشاركين فيها وانتقادهم عبر الصحف وأجهزة الإعلام والبريد ، حيث تنشر المجلات المسماة بالفنية عناوين أهل الفن .. وبدلًا من رسائل الإعجاب إلى الفنانين وطلب صورهم الشمسية والملونة ، فإن رسائل المناصحة والمراجعة يجب أن تطرح أمامهم ـ وأمام المسئولين أيضاً ـ حتى لا يتمادوا فى الغرور ونسيان رسالتهم الحقيقية .. لابد إذاً من دور للطبقة الواعية حتى تشكل رقابة ذاتية وشعبية ، وأعتقد أن هذه الرقابة ستكون أقوى وأكثر جدوى من الرقابة الرسمية التى يمكن أن يتسلل إليها القصور والتقصير .

كذلك فإن دور الأجهزة الثقافية مع المنزل والمدرسة يجب أن يتضح فى عملية الإشباع الروحى والعاطفى للأجيال الجديدة ، ووضع الغايات النبيلة والمثل العليا والقيم الراقية والقدوة الصالحة أمام شباب الغد الواعد ، لأن تفريغ الشباب من هدف عظيم ، يمثل جريمة كبرى فى حق الدين والأمة والوطن والمستقبل .. ولعل ما جرى مؤخراً وتناقلته الصحف عند استقبال الممثل الهندى « أميتاب باتشان » فى مطار القاهرة الدولى لحضور مهرجان السينما ، يعتبر خير تعبير عن ظاهرة الفراغ الذى أصاب فريقاً كبيراً من الشباب [راجع الأهرام ١١ ـ ١٢/١٢/١٩٩١] .

لقد خرج المئات من الجنسين ، وجاءوا من الاسكندرية وبقية

المحافظات ، تحت المطر العاصف ، والرعد القاصف ، والبرد القارس ليشاهدوا ممثلًا طويل القامة أسمر اللون ، يعترف هو نفسه بأن أفلامه للتسلية فقط ، ولا قيمة تربوية لها ، لأنها تعتمد على الخرافة والبطولات الخارقة التى لا تنتمى إلى أرض الواقع .

إن الفتيات اللاتى وقفن أمام الممثل الهندى ليغنين أمامه بعض الأغانى الهندية ، والفتاة التى قالت إنها لن تتزوج إلا رجلًا شبيهاً « بأميتاب باتشان » ، والجموع التى احتشدت حول « أميتاب باتشان » ولا تعرف شيئاً فى الوقت نفسه عن عباقرة الوطن وعلمائه تعبر عن محنة خطيرة تعيشها الأجيال الجديدة التى غامت أمامها الرؤية ، وفقدت البصيرة ، وضاع منها الطريق بسبب عملية « التفريغ » و « التسطيح » و « التلويث » التى قام بها أهل الفن وغيرهم لفلذات الأكباد وأمل الغد .. لقد خسرنا بالفن الهابط وتجارة الغرائز جزءاً مهماً من أعز ما نملك وهو الشباب ، الأمر الذى يحتم على عقلاء الأمة البحث عن مخرج عملى وفعال من هذه المحنة .

ولا ريب أن الاكتفاء بالنواح على ما فعله أهل الفن عمل غير مجد وغير مفيد ، لذا لابد من تحرك فعال على مستوى المحنة أو الأزمة ينتشل الجمهور ، والشباب خاصة ، من الواقع الفنى الهابط الردىء ، وأعتقد أن التجارب التى قامت فى بعض البلاد العربية برأس مال إسلامى ، يمكن تطويرها ليكون « المال الإسلامى » العنصر الحلال والفعال فى « أسلمة » الفن ، وتوجيهه لخدمة قضايانا المصيرية ، وتقديم القدوة الصالحة ، والمثل الطيب لأجيالنا الجديدة ، فضلًا عن نشر العقيدة والقيم الفاضلة ، ومعالجة الانحرافات ، ومواجهة اليأس والإحباط ..

لقد استطاع اليهود - وغيرهم - أن يخدموا بأموالهم قضايا باطلة ومزيفة .. أفلا نستطيع نحن أن نخدم بأموالنا قضايا حقيقية ومشروعة .

بلى !..

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق أمتنا إلى ما فيه الخير والرشاد ، وصلى الله وسلم على نبيه محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه والسائرين على نهجه إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حلمى محمد القاعود

ملحـــق

الإدمان طريق الموت

تحقيق حول إدمان الفنانين نشرته جريدة « الصباحية » يكشف من أضاعوا أنفسهم وضيعوا غيرهم ...

[وكثير من أهل الفن تهون عليهم الحياة لأنهم لم يستشعروا طعمها الحقيقى بالرغم من الأضواء والبريق والشهرة ، ولأنهم ببساطة تحولوا إلى أدوات فى يد القوى التى تزرع الفساد والشر والعنف والفجور]

طريق المـــوت ..

مشكلة الإدمان هى المشكلة الأكثر وضوحاً فى حياة أهل الفن .. لها جذور منذ مطالع القرن العشرين فقد اشتهر بالإدمان عدد من المشاهير فى مجالى الغناء والموسيقى والتمثيل ، وكانوا يدمنون أنواع المخدرات السائدة والمعروفة آنئذ مثل الحشيش والأفيون والمنزول والكوكايين .

المفارقة أن أهل الفن القدامى كانوا يدمنون نتيجة الفقر وإحساسهم الطبقى المتواضع .. أما أهل الفن المعاصرون فيدمنون نتيجة الغنى الفاحش الذى تأسس على « الحرام » .

القدامى والمعاصرون من أهل « الفن » يمارسون الإدمان لخلل آخر فى واقعهم يضاف إلى الخلل الاقتصادى (فقراً وغنى) ، وأعده أهم منه ، إنه الخلل الذى يعود إلى عدم التوازن الروحى والعاطفى الذى يفتقده الفنان ويعيش فى وحشة البعد عنه ، ولو أنه امتلك التوازن حقيقة لما اندفع إلى التهلكة بيده وماله ، وهو يعلم يقيناً أن هذا هو طريق : الموت !.

إن الذى يقدم على الانتحار يكون فاقداً للأمل ، شاعراً بالخواء ، مليئاً بالإحباط واليأس ، ولذا تهون عليه الحياة .. وكثير من أهل الفن تهون عليهم الحياة لأنهم لم يستشعروا طعمها الحقيقى بالرغم من الأضواء والبريق والشهرة ، ولأنهم ببساطة تحولوا إلى أدوات فى يد القوى التى تزرع الفساد والشر والعنف والفجور ، وتحصد المال والثروة والعبيد ــ وما أكثرهم ! ــ وأهدافاً شيطانية عديدة !.

لقد رأيت فى الحرم النبوى الشريف والكعبة الزهراء عدداً من أهل الفن الذين يملكون طبيعة خيرة ، ولا ينزلون إلى الدرك السحيق الذى نزل إليه كثيرون ، وفى الوقت نفسه يحققون فى داخلهم ذلك التوازن الروحى والعاطفى المفقود .. وللأسف فإنهم قلة .. نرجو أن تتحول إلى أغلبية مجندة ذات رسالة مقدسة لخدمة الإسلام والأمة ، وليست حرباً عواناً عليهما .

وفى التحقيق التالى الذى نشرته جريدة « الصباحية » التى تصدر فى لندن وجدة (عدد ١٢ جمادى الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٨ نوفمبر ١٩٩١ م) ، نماذج عديدة لمدمنين من أهل الفن ، أضاعوا أنفسهم وضيعوا غيرهم وأنفقوا أموالهم فى مجال الإدمان ، حتى كانت النتيجة وبالًا عليهم ، وعلى آخرين .. ونختتم صفحاتنا عن « التجارة الحرام » بهذا التحقيق الذى آثر التلميح دون التوضيح ، وإن كان القارىء يدرك المعنيين بالأمر جيداً ، وفى كل الأحوال ، فإننا لا نريد تشهيراً بأحد ، ولاالشماتة فى أحد ، ولكننا نهدف إلى تقديم مثال حى على تفسخ الواقع الفنى ، والأوبئة التى تفشت فيه ، وفى الوقت نفسه نرد على ادعاء بعضهم من الذين نفوا وجود « شمامين » أو مدمنين بين زملائهم وزميلاتهم ، ونقول أيضاً إننا لن نتطرق إلى ما نشرته الصحف فى الشهور الأخيرة حول القبض على « فنانين » مدمنين وحشاشين ، دافع عنهم البعض بحرارة ذات يوم ، واتهموا الجهات المسئولة بتلفيق التهم لهم انتقاماً من مواقفهم السياسية والنضالية (!!) بينما الحقيقة خلاف ذلك على النحو الذى يعرفه القريبون من الحركة الفنية .. وفى النهاية نسأل الله الهداية لنا ولهم وللجميع . وإلى التحقيق :

« أنوف أهل الفن .. فى جيوب التجار »

القاهرة : مكتب « الصباحية » :

« الشتم فى مجال الفن على دونه » كما يقولون . والشمامون من الوسط الفنى ، انشغلوا بالمخدرات عن أعمالهم ، وإن عملوا فأفلامهم رديئة .. ومستواها فى انحدار دائم .

وإذا حكم « الكيف » .. نفذ الفنان الشمام أمره فوراً .. حتى لو كان الثمن أن يعمل فى التجارة ، ولا يكتفى بالتعاطى فقط . وتتحول مهمته إلى اصطياد زملائه ، وتحويلهم إلى زبائن لتجار المخدرات .

وإذا كان بعضهم سقط وحصل على البراءة ، بسبب بطلان الإجراءات .. فإن المخدرات فضحته ، وقتلته بسبب زيادة الجرعة .. وانتقمت منه فى أولاده .

(أ) ممثل شاب .. اشتهر بأدوار دور رجل الشرطة فى أعماله الفنية القليلة ، وأفلام المقاولات . سبق سجنه لمدة عام ، فى قضية مخدرات ، ادعى أنها ملفقة له ، مجاملة لزوجته السابقة النجمة السينمائية بعد طلاقها .

أصبحت علاقته بتجار المخدرات معروفة للجميع ويؤكدها تردده الدائم على أكثر من تاجر ، وكذلك اعترتفات عدد من التجار الذين تم ضبطهم بالفعل وأحالتهم لمحاكمة .

ومنذ عامين ، سقطت تاجرة المخدرات « منى الجزرية » البدوية الأصل ، والنازحة للقاهرة من سيناء ، كانت تحتكر توزيع الهيروين على الأثرياء فى منطقة شرق القاهرة ومصر الجديدة ، وقد شوهد هذا الممثل صاحب الكرم « الحاتمى » يتردد عليها أثناء عمليات المراقبة .

كان الممثل الشاب يذهب لتاجرة المخدرات فى أوقات متأخرة من الليل للحصول على حاجته من المخدر ، وتقول المعلومات أن علاقته لم تعد تقتصر على التعاطى ، أصبح يتاجر فى الهيروين مقابل توفير حصته الخاصة بل يعتبر الوسيط الأكبر بين تجار المخدرات والعديد من الفنانين الشمامين (!!) .

تأكدت هذه المعلومات بعد سقوط منى الجزرية .. وتحول الممثل للتعامل مع تاجرة الهيروين بمنطقة الهرم المعروفة باسم « بدرية » ، ولم يكن هناك دليل على صحة هذه المعلومات حتى تم ضبط التاجرة ، وكان بحوزتها الخاتم الذهب الخاص بالممثل الشاب !ة .

كان الممثل قد رهن الخاتم لدى تاجرة المخدرات لحين تسديد ثمن ما حصل عليه من تذاكر هيروين له ولزملائه ، تم تحريز الخاتم ضمن المضبوطات ، وتقديمه للنيابة ، امتنع الممثل طبعاً عن الذهاب للنيابة ، والمطالبة بخاتمه الذهب ، والاعتراف بملكيته حتى لا يفتضح أمره !! .

٢ ـ مطرب شاب سبق أن تبناه مطرب كبير راحل ، منذ أن كان طفلًا ، وقدمه فى إحدى حفلاته ، تزوج من راقصة مشهورة ، تكبره بضعف عمره تقريباً ، وانتشرت قصة خلافتهما ، التى وصلت إلى حد المشاجرات وانتهت قصتهما معاً بالطلاق .

هذا المطرب سبق ضبطه فى قضايا شملت عدداً من الفنانين منذ عامين . ولكنه حصل على البراءة وقتها ، ورغم ذلك ظلت الروايات تتردد

عن علاقته بالهيروين ، وتؤكد المعلومات أنه يعمل حالياً لحساب تجار المخدرات ، ويقوم بتخزين بضاعتهم ، مما دفع رجال مكافحة المخدرات إلى تفتيش منزل والده بالمدينة الساحلية .

يومها .. تدخل صديقه الحميم .. النجم الشهير ، الذى « وهبه » الله موهبة تمثيلية جيدة ، ورغم ذلك اتجه إلى طريق المخدرات ، وتم ضبطه فى أشهر قضية لتعاطى وتجارة المخدرات لفنان .

ذهب النجم الراحل ، يتوسط للمطرب الشاب ، ويدافع عنه أمام ضباط مكافحة المخدرات ، ولم يكن يعلم وهو يجلس فى مكتبهم .. يدافع عن صديقه الشمام ، أن هناك إذناً من النيابة بضبطه متلبساً هو الآخر .

بالفعل .. تم ضبط النجم « الموهوب » .. ولكنه حصل على البراءة بسبب خطأ فى الإجراءات القانونية لضبطه .. وبعدها بفترة قليلة ، مات فى ظروف غامضة قيل إنها كانت بسبب تناوله كميات كبيرة من المخدر دفعة واحدة .

والغريب أن المطرب الشاب ، الذى صبر عليه جمهوره صبر « الحليم » لم ينفذ وعده بالعودة إلى نفسه وفنه ، للحاق بركب زملائه الذين سبقوه بخطوات كبيرة رغم أنه بدأ قبلهم جميعاً . فما زال البعض يشاهده ، وهو يتعاطى المخدرات ، داخل أحد الكازينوهات الشهيرة على نيل الزمالك .

٣ ــ منذ ثلاثة أسابيع فقط ضبط رجال مكافحة المخدرات ، التاجر الشهير « بلبل » واسمه الحقيقى نبيل حسن فهمى ، كان قد أقام وكراً على شاطىء نيل امبابة ، لتقديم كل أنواع المخدرات ، وكان دخول الوكر ممنوعاً على غير الفنانين . وجميعهم من الشباب الذين ما زالوا يخطون أولى خطواتهم فى مجال الفن ، وأن حققوا بعض الشهرة .

أما هذا الممثل المغمور ، فلم تنل منه ساحة « العدل » الآن (!!) رغم أن علامات الثراء ظهرت عليه فجأة .. بعد عدد من الأدوار الصغيرة سواء فى السينما أوالتليفزيون ، واستطاع فى وقت قصير أن يمتلك أكبر ملهى على شاطىء النيل بالزمالك .

تقول المعلومات أن هذا الممثل المغمور ، يعتبر المندوب « السامى »

لتجهيز جلسات تعاطى المخدرات لشمامى الوسط الفنى ، وتؤكد أيضاً ، أنه كان المخطط والمدبر للإيقاع بالكثير منهم فى براثن الإدمان ، فقد كان يدعو الفنانين ويتكفل بكل شيء فى البداية .. حتى يسقطوا فى المستنقع ، وبعدها يبيع لهم سمومه .

ورغم أنه ما زال حراً طليقاً .. إلا أنه دفع ثمن شروره ، فى أقرب الناس إليه ، ضبطت الشرطة ابنته الشابة الصغيرة ، وهى تستقبل الأصدقاء والزميلات فى منزل الأسرة لتتعاطى معهم المخدرات والهيروين ، وقالت يومها أنها عرفت طريق المخدرات بعد حرمانها من رعاية الأب والأم بعد انفصالهما وانشغال كل طرف بأعماله الفنية .

فالأم ممثلة هى الأخرى .. وقد تم إيداع « الطفلة » ابنتهما دار رعاية الأحداث بحكم من المحكمة ، لكن الأم تمكنت من الهروب بابنتها إلى الخارج . حيث هاجرت إلى رومانيا ، هرباً من الفضيحة !! .

٤ ـ أما هذا المطرب الشاب ، فقد أسرع إلى المخدرات بنفس سرعته إلى الشهرة بسبب فوزه فى مهرجان دولى للأغنية الشبابية ، استدرجه لطريق الإدمان شاعر معروف من أقاربه .. لكن المعلومات تقول إنه أخيراً وبعد أن ساءت صحته .. عرف « الصالح » من « الطالح » وقرر دخول مصحة للعلاج .. مكث فيها ثلاثة أشهر ، وقد « مدحت » المعلومات الأخيرة سلوكه ، بعد أن أصبح من الذين اختشوا !!.

٥ ـ حظ هذا المخرج الشاب فى رجليه ، كما يقولون ، فقد اشتهر صغيراً عندما أدى أحد الأدوار كشقيق للفنان الراحل عبد الحليم حافظ فى أحد أفلامه ، وعندما اشتد عوده ، عمل بالإخراج .. استناداً إلى شهرته فى الصغر ،ولكنه دخل مجال الفن من باب الشم ، وسقط فعلًا داخل أحد الأوكار بتهمة التعاطى .. لكنه حصل على البراءة .. بسبب الإجراءات كالمعتاد .

طوال العام الماضى ، كانت عيون رجال المكافحة ترصده ، هو ولاعب الكرة السابق محمد عباس .. لاعب النادى الأهلى .. وهما يدخلان وكر تاجر المخدرات الشهير حنفى كتكت بمنطقة الجيارة ، ومعهما بعض مشاهير الوسط الفنى .

حانت ساعة الصفر .. وتمت مداهمة الوكر .. وألقى رجال مكافحة المخدرات القبض على كل الموجودين ، وبينهم تاجر المخدرات « كتكت » وشاء حظه الجيد أن يتخلف عن الحضور بينما حصل محمد عباس لاعب الكرة على سنة حبس فى هذه القضية ، ويقضى التاجر صاحب الوكر ، عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة . و « يحيا » الحظ !! .

٥ ـ المخرج المسرحى الكوميدى الشهير أفلت أيضاً بمعجزة وهو مخرج من عائلة فنية فيها المطربة والمخرج السينمائى ، والمنتج .. ولا أحد فيهم راضياً عما فعله .. وهو يقول إن كل واحد سيد نفسه وسلطانه !! .

المهم .. ضبطه أحد ضباط الدوريةاللاسلكية ، التابعة لقسم شرطة العجوزة ، وهو يجلس داخل سيارته على شاطىء النيل .. يقوم بتدخين سيجارة محشوة بالحشيش .. انهار المخرج .. واستغاث بزملائه العاملين معه .. فحضرت الممثلة « السمينة » التى احترفت التمثيل ، بعد اعتزالها الرقص لنجدته ، وكان معها ممثل آخر ، لم يتم تحرير محضر بالواقعة .. وانصرف المخرج المسرحى إلى مسكنه .

٧ ـ أما « الأمورة الحلوة الطعمة » .. ابنة المطربة المشهورة .. فتعد من أشهر نجوم الوسط الفنى فى مجال حقن الماكستون فورت .. ومعظم أصناف المخدرات . وقد كانت تخرج بعد أداء دورها فى مسرحية للثلاثى تعرض بمسرح الهوسابير .. لتذهب على بعد أمتار قليلة إلى تجار المخدرات بمنطقة بولاق أبو العلا .

كانت تكتفى بإخراج ذراعها من زجاج السيارة ليتم حقنها بالسائل المخدر ، ثم تعاود سيرها .

٨ ـ أما هذا الممثل المسعور تليفزيونياً .. ولم يحصل على فرصته فى وسائل الإعلام الأخرى .. فقد أتى بتصرف غير محمود .. خلال عرض مسرحية له أمام نادية الجندى .

كون الممثل الشاب جلسة لزملائه من المغمورين والكومبارس يقدم لهم فيها الحشيش مقابل أجر . ولكنه تراجع سريعاً عنها .. بعد أن شعر بعيون رجال مكافحة المخدرات ترصدها .

* * *

الضحـــــايا :

ومن ضحايا المخدرات اثنان من أشهر من أدى أدوار الشر والمعلمة وابن البلد ، وقد سقط أكبرهما سناً ، صريعاً داخل شقة مفروشة ، تحت تأثير جرعة كبيرة من المخدر ، تعاطاها .

فى حين أن الممثل الشاب الذى أدى فى طفولته شخصية أديب عربى كبير ، تمكن من الإفلات من هذا المستنقع . أسرع بالهروب من شلة الإدمان ، إلى العلاج ، كان يتعاطى كل أنواع المخدرات تقريباً .. بعد أن أقام علاقة غير مشروعة مع إحدى الراقصات .

انهارت صحة الممثل الشاب .. توقف عن التمثيل طوال الفترة الماضية بسبب تدهور صحته .

استعان أفراد أسرته المرموقة برجال مكافحة المخدرات لإدخال الشاب المعتل إحدى المصحات . وقد كتب قصة عن كارثة الإدمان بعد تمام شفائه منذ شهور قليلة .. ومن المتوقع أن يقوم هو ببطولتها .. أمام المطرب الشاب محمد منير .. والإخراج لهشام أبى النصر .

شائعات الشمامين !!

يؤكد مصدر رسمى من إدراة مكافحة المخدرات كذب الشائعات التى يرددها بعض شمامى الوسط الفنى .. والتى يتهمون فيها إدارة المكافحة ، بتلفيق هذه القضايا لهم ، لتشويه صورتهم .

يقول المصدر : إنه من الغريب أن تثور هذه الأقاويل ، عندما نضبط فناناً .. ولا نعرف لماذا لا تثار عندما نقبض على شرائح أخرى فى المجتمع ؟ إننا نقوم بعملنا بما يرضى الله ثم ضمائرنا .. لحماية المجتمع من الخطر الذى يحيق به .. بل ونحميهم من شرور انفسهم .. ولا يعنينا شخصية المتهم او مكانته الاجتماعية .

ويدعو المصدر كل فنان أن يراعى ضميره فى صحته ، وفى جمهوره الذى يتخذ منه القدوة .. وتتأثر به أجيال كاملة . إضافة إلى أن الحقائق تؤكد قصر أعمار الفنانين الشمامين .. حتى ولو لم يسقطوا فى أيدى العدالة .

كتب للمؤلف

إسلاميات :

- مسلمون لا نخجل ، دار الاعتصام ـ القاهرة (نفد) .
- حراس العقيدة ، دار البشير ، طنطا (طبعة ثانية) ، (نفد) .
- الحرب الصليبية العاشرة ، دار الاعتصام ـ القاهرة (نفد) .
- العودة إلى الينابيع ـ فصول عن الفكرة والحركة ـ دار الاعتصام ـ القاهرة .
- الصلح الأسود .. رؤية إسلامية لمبادرة السادات والطريق إلى القدس ـ دار الاعتصام ـ القاهرة (نفد) .

ثورة المساجد ، حجارة من سجيل ـ دار الاعتصام ـ القاهرة (نفد) .

- هتلر الشرق وبلطجى العراق ولص بغداد ـ دار الاعتصام ـ القاهرة .
- جاهلية صدام .. وزلزال الخليج ، دار المعراج ـ الرياض (نفد) .
- أهل الفن .. وتجارة الغرائز ـ دار الاعتصام ـ القاهرة .

* * *

أدب ونقـد :

- الغروب المستحيل ، سيرة كاتب (محمد عبد الحليم عبد الله) ، المجلس الأعلى للفنون والآداب ـ القاهرة (نفد) .
- رائحة الحبيب ـ مجموعة قصصية ـ القاهرة (نفدت) .
- الحب يأتى مصادفة ـ رواية عن حرب رمضان ـ دار الهلال ـ القاهرة (نفدت) .
- مدرسة البيان فى النثر الحديث ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ دار القافلة ـ الخفجى (السعودية) ـ (نفد) .

- موسم البحث عن هوية ـ دراسات فى الرواية والقصة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة .
- محمد ﷺ ـ فى الشعر العربى الحديث ـ دار الوفاء ـ المنصورة .
- القصائد الإسلامية الطوال فى العصر الحديث ـ دار الاعتصام ـ القاهرة .
- الرواية التاريخية فى أدبنا الحديث ـ دراسة تطبيقية ـ دار الاعتصام ـ القاهرة (نفد) .

إعــلام :

- الصحافة المهاجرة : دراسة وتحليل ـ دار الاعتصام ـ القاهرة (نفد) . وقريباً الطبعة الثانية،مزيدة ومنقحة إن شاء الله .

تحت الطبع ويصدر قريباً إن شاء الله تعالى :

- واسلمى يا مصر .
- حفنة سطور .
- خيوط العنكبوت .

* * *

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٤٦٩٢

الترقيم الدولى -٩٧٧- ٢١١ -٠٣٥-

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١